19me, année No955

Le Caire 22 — 10 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٥٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ محرم سنة ١٣٧١ — ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

تركيا الصغيرة !!.

للأستاذ سيد قطب

ها نحن أولاء نخوضها فى هذه الأيام حرباً صليبية جديدة ، بل ها نحن أولاء نخوضها معركة من معارك الحروب الصليبية القديمة .. فما خمدت قط نار هذه الحروب بيننا وبين الصليبيين ..

ها نحن هؤلاء نخوضها حرباً مقدسة فى وادى النيل ، وفى الشمال الإفريقى ، وفى إيران ، وفى العراق . . ولقد كسبنا الجولة الأولى فى إيران المظيمة ، ونحن فى طريقنا إلى كسب الجولة الثانية فى وادى النيل . ولن يقف الشعب العراقى القوى المتحمس دون خطوات إيران ، ولا دون خطوات الوادى . والشمال الإفريقى كله يتأهب استعداداً للوثبة الكبرى ..

الظل الأسود يتقلص .. ظل الاستعمار البغيض . ظل الصليبية التى عجزت عن مكافحة الإسلام باسم الدين ، فقامت بحركة التفاف عن طريق الاقتصاد ، ومن طريق الثقافة ، ومن طريق الاستعمار . وهى تحمل الصليب فى قلبها وتخبئه ، بدل أن كان تشهره على الرؤوس وترسمه على الحراب والسيوف !

الظل الأسود يتقلص ، وحطام الاستعمار يتطاير ، فتنحنى عليه الأساطيل ، لتلتقطه خارقة من اليم ، كما انحنى الطراد الإنجليزى « موريتيوس » ليلتقط بقايا الإمبراطورية من مياه إيران العظيمة !

الظل الأسود يتقلص والراية الإسلامية الكبرى تنشر ظلالها الشفيفة الحبيبة ، تنشرها وتنشر معها القوة والثقة واليقين فى النصر ؛ وتنشر معها العزة والاستعلاء على الذل والقهر

لقد ارتفعت هذه الراية الحبيبة فأتمت فى شهر ما ظل حزب توده الشيوعى يحاوله فى عشر سنوات ولا يستطيع !

وامتدت عدوى الضربة الإيرانية الإسلامية القوية إلى وادى النيل ، ولا غضاضة فى أن نسجل أن إيران قد سبقتنا ، فإيران بضعة من جسم الوطن الإسلامى الحى ، ولا غضاضة فى أن تتحرك الكف لتصفع ، قبل أن تتحرك القدم لتركل ، ولا غضاضة فى أن تتحرك الذراع لتضرب قبل أن تتحرك الرجل لتسحق !.

— والعراق على الأثر — فشعب العراق الأبى الفتى لا يقبل أن يكون متخلفاً .. إن بترول العراق سيؤمم ، وإن معاهدة العراق ستلغى .. ستضرب العراق ضربتها الواحدة لتحقق بها ماحققت

إيران وما حققت مصر في ضربتين متتاليتين .. والشمال الإفريقي كله على الأثر .. ويتطهر العالم الإسلامي .. يتطهر من أرجاس الصليبية الغربية ، ومن عار الاستعمار الغربي ...

الظل الأسود يتقلص . ولن تعصمه قوة في الأرض عن التقلص . « لقد دالت دولة الرجل الأبيض » — كما يقول برتراند رسل الفيلسوف الإنجليزي المعاصر — وتلك سنة الله في أرضه . ولن تجد لسنة الله تبديلا

ولكن الصليبية التي لم يهدأ لها بال ، ولم تغمض لها عين منذ القرن الحادي عشر إلى اللحظة الحاضرة ... هذه الصليبية لن تلفظ أنفاسها الأخيرة في الشرق إلا بعد أن تبذل طاقتها ، وقبل أن تنثر كنانتها

إنها تدرك أن حركات التحرير في الشرق الإسلامي إن هي إلا صحوة العقيدة التي ظنتها الصليبية قد ماتت إلى الأبد ... إنها لا تخطئ عناصر هذه العقيدة الخالدة في وثبة التحرير الحاضرة ، وفرنسا اللاتينية ، فرنسا التي قادت الحروب الصليبية ، فرنسا هذه أشد حساسية بذلك الروح الإسلامي النابض في كل حركات التحرير . فهي تحذر من هذا الروح . تحذر منه اليوم علانية ، وتنذر الغرب خطر « العالم الإسلامي » .. لقد أحست مرة أخرى بوجود « العالم الإسلامي » أحست به في قوة ، وإن كانت طوال حياتها لم تنس وجوده ، ولم تفتر عن مكافحته ، كما لم تفتر إنجلترا وسواها من أمم العالم الغربي عن هذا الكفاح !

وها هي ذي الصليبية تتجمع مرة أخرى لوقف المد الإسلامي الزاحف من جديد — ولكن هيهات ! — لقد فات الموعد ، ومضت عقارب الساعة ودارت دورة الفلك ، وما عاد لقوة بشرية على ظهر هذه الأرض أن تقف في وجه التيار

لقد انبثقت من ثنايا العدم باكستان . وتفلتت من قبضة الاستعمار إندونيسيا وسوريا ولبنان . وأفلتت من القراصنة إيران ، وضربت مصر ضربتها المدوية ، فوقفت الإمبراطورية المحطمة تترنح ، وتطوح بيديها ورجليها في الهواء توهم الناس أنها قوية وأنها ستضرب ، وإن هي إلا سكرات الموت ، وصرعات الحمام ! والشمال الإفريقي كله في الطريق ، ولن يمتد الزمن طويلا قبل أن يضرب ضربته كذلك

الظل الأسود يتقلص ، والراية الإسلامية ترتفع ، وترف وتخفق ، والكتلة الثالثة تتجمع في ظل هذه الراية النورانية ، راية النصر والعزة والاستعلاء

وفي ضجة المعركة الفاصلة الأخيرة . وفي عجيج الوقعة التي تحول سير التاريخ . وفي اندفاع السيل المتدفق الفوار ..

في ثنايا هذا كله تتسلل من الصف نملة غادرة ، وتتخلف عن الميدان قطة لئيمة ، وتتوارى عن الجمع فأرة حقيرة .. إنها .. إنها تركيا الصغيرة !

تركيا وحدها دون بقية العالم الإسلامي كله تركيا وحدها هي التي تطعن مصر في ظهرها ، وتتخنس مع أعداء الشرق ، وأعداء الإسلام ، وأعداء الإنسانية . تركيا وحدها هي التي تقبل اليد التي صفعتها والقدم التي ركلتها . تركيا وحدها هي التي تنحني على الخنجر الذي مزق أوصالها وأجهز على « الرجل المريض » !

ويطير أمين جامعة الدول العربية إلى تركيا ثم يعود ليذيع البشرى على العرب بعودة تركيا إلى راية الإسلام وصفوف المسلمين .. ثم إذا تركيا هذه في مجلس الأمن تمالئ إسرائيل !

وتعلن مصر تحطيم النير الذي يشد عنقها إلى عجلة الإمبراطورية الفانية . ويخرج شعبها يهتف للحرية ، ويتنفس الصعداء .. ثم إذا تركيا هذه تحتج على هتاف الحرية من المصريين !

وتتجمع الصليبية ممثلة في أمريكا وإنجلترا وفرنسا ، فتتآمر على مصر المسلمة في صورة الدفاع المشترك ، وترسل بسفرائها الثلاثة يحملون نتاج المؤامرة اللئيمة .. فإذا هم ثلاثة رابعهم كلبهم يحمل نفس النتاج !

وإنها تركيا .. تركيا التي تستكثر على مصر أن ترفع رأسها ، لأن الفلاحين العبيد لا يجوز أن يتحرروا . . هذه هي العقدة الحقيقية في نفس تركيا ! والعقدة الأخرى هي الإيمان بأوربا والكفر بكل ما هو شرقي ، وكل ما هو إسلامي ، منذ أيام الانقلاب !

إنها تركيا .. تركيا التي ما إن تصاب بكارثة أو زلزال حتى تتدفق عليها الأموال والتبرعات من هنا . من المتمصرين الذين يعيشون في مصر ، ومن خير مصر ، ومن دماء مصر ، وهواهم مع تركيا ، واعتزازهم بالعنصر التركي وبالدم التركي !

إن هذه الأموال التي تتدفق من مصر لهي دماء المصريين الكادحين ، مقطرة ومكثفة ومبلورة . فأما « الفلاحون » فهم الفلاحون . هم العبيد . هم رقيق الأرض . وأما السادة فهم الذين يعتزون بالعنصر التركي وبالدم التركي . هم الذين يصوغون دماء الرقيق ذهبا يتقاطر على تركيا . تركيا الخائنة لمصر وللشرق والاسلام . تركيا حليفة الصليبيين في القرن العشرين

إن الذين يعيشون هنالك في القصور على ضفاف البوسفور ؛ حيث تجبي إليهم ثمرات العرق والكد والدماء من ضفاف الوادي .. إن هؤلاء هم الذين يطعمون تركيا الخائنة لحم المصريين وعظامهم . وهم الذين يسقون تركيا الخائنة عرق المصريين ودماءهم

(ولقد آن لمصر أن تضع لهذا كله حدا . آن لمصر أن تمنع تسرب قرش واحد إلى تركيا الملعونة . الملعونة من السلمين أجمعين . الملعونة من الإنسانية المنكوبة بالاستعمار في مشارق الأرض ومغاربها . الملعونة من الأرض والسماء إلى يوم الدين

لقد آن أن تقول مصر لمن يعيشون في قصورهم هناك على ضفاف البوسفور . إما أن تعيشوا هنالك من كدكم وعرقكم ، أو في ضيافة تركيا التي تعتزون بها وتنتسبون إليها . وإما أن تعودوا إلى مصر التي تطعمكم وتسقيكم . فمصر لم تعد أمة من العبيد . ولن تكون يوما أمة من العبيد

إن العالم الإسلامي كله يتحفز للوثبة الكبرى . وإن الكتلة الإسلامية كلها لتتأهب للظهور على المسرح العالمي ، لتمسك بيدها ميزان التعادل والتوازن . فلتلهث تركيا وهي تعدو في ذيل القافلة : قافلة الاستعمار وقافلة الصليبية . ولتركها العالم الإسلامي بقدمه القوية . فتركيا الصغيرة لم تعد ذات وزن في كفة الميزان . لقد اختارت لنفسها أن تلهث وراء القافلة . فلتلهث . وليلهث معها المتمصرون والمتتركون .. ولكن لنعرف مكانها ، ولنعرف عنوانها .. إنها .. إنها تركيا الصغيرة !

سيد قطب

الولايات المتحدة الأمريكية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

— ٦ —

سياسة العزلة:

كان سكان الولايات المتحدة الأوائل قوما عذبوا فى سبيل دينهم وحرياتهم، وقد دفعهم الظلم الواقع عليهم إلى الهجرة إلى العالم الجديد. وهجرة الوطن والاغتراب عنه ليسا أمرا هينا ، ولكن الظلم والاضطهاد يحببان الإنسان الحر فيهما ويدفعانه إليهما

ولا يقيم على ضيم يراد به   إلا الأذلان عير الحى والوتد

ولما استقر سكان الولايات فى ولاياتهم حاولت إنجلترا أن تستغلهم شأنهم فى ذلك شأن المستعمرات، ولكنهم وقفوا فى وجهها وانتهى الأمر باستقلالهم ١٧٧٦

قرر الأمريكان منذ اللحظة الأولى أن العالم القديم مملوء بالشرور والآثام والمشاكل، وانتهجوا «سياسة العزلة» ومضمونها ألا تساهم الولايات المتحدة فى اتحادات أوربا السياسية وألا تشترك مع أية دولة أوربية فى حل المشاكل التى تقوم فى أوربا، كما قررت الولايات عدم التدخل فى شؤون البلاد الأمريكية التى حررت نفسها من المستعمر الأوربى باعتبارها دولة أمريكية

وقد سارت أمريكا على هذه السياسة، ولكن الحرب لم تلبث أن نشبت فى أوربا عقب قيام الثورة الكبرى فى فرنسا سنة ١٧٨٩، وانقلبت أوربا إلى أتون حربى فى الفترة من سنة ١٧٩٣ — ١٨١٥، وكان النضال بين إنجلترا وفرنسا عنيفا وعنيفا جدا: ذلك أن إحداهما كانت سيدة البحار، وهى إنجلترا وقد تيسر لها القضاء على البحرية الفرنسية، ولكنها لم تستطع أن تنزل إلى البر لتقضى على فرنسا

وكانت الثانية فرنسا سيدة البر التى استطاع ابنها العبقرى نابليون أن يصرع الملوك وأن يذل القياصرة، ولكنه لم يستطع أن ينزل بإنجلترا الهزائم فى البحر، بل بالعكس حطمت إنجلترا أساطيله

طال النضال بين الدولتين ولجأتا إلى الحرب الاقتصادية: فقررت إنجلترا محاصرة الشواطئ الفرنسية، ورد نابليون عليها فقرر أن الجزائر البريطانية فى حالة حصار، وحرم على الدول الأوربية الاتجار معها، وكان غرضه أن يميتها جوعا. فردت إنجلترا عليه بأن قررت منع دخول سفن البلاد المحايدة (ومنها أمريكا) الموانئ الفرنسية أو الموالية لها إلا بعد مرورها على الموانئ الإنجليزية ودفع الأتاوة المطلوبة

وقرر نابليون أنه ما دام الحياد قد أصبح ممنوعا فى البحر فهو ممنوع أيضا فى البر، وطال النضال واشتدت الحرب حتى انتهت بهزيمة فرنسا وتسليم نابليون ١٨١٥

وقد أصاب التجارة الأمريكية ضيق شديد بسبب سياسة إنجلترا البحرية، ومنعها السفن الأمريكية من دخول الموانئ الأوربية، كما أنها قبضت على كثير من البحارة الأمريكان، وبلغ الضيق أقصاه (١٨١٢) فقامت الحرب بين الدولتين

لم تكن الحرب بالنسبة للولايات المتحدة نصرا خالصا وإن انتصرت فى النهاية، كما أنها لم تفد شيئا من هذا النصر، فلم تنل توسعا إقليميا ولم تظفر بأى كسب خارجى يبرر ما أنفقت من أموال وما فقدته من رجال (٣١ ألف بحار، ٣٠ ألف جندى) وبرغم هذا يؤمن بعض المؤرخين بأن هذه الحرب قد أفادت الولايات الأمريكية فوائد جمة:

أولا — دعمت هذه الحرب الوحدة القومية إذ أنها دفعت سكان الولايات إلى أن يقفوا صفا واحدا يدافعون عن وطنهم واستقلالهم. وقد أكد ألبرت جالاتين وزير مالية أمريكا (١٨٠١ — ١٨١٣) أن الأمريكيين كانوا أنانيين جدا، شديدى التفكير تفكيرا محليا، فلما جاءت الحرب «جددت الشعور الوطنى والخلق الوطنى اللذين جاءت بهما الثورة، واللذين كانا يتضاءلان مع الأيام، فلقد أصبحت للشعب أهداف توثق بين أفراده وترتبط بها كرامتهم وأفكارهم السياسية. فهم الآن أمريكيون أكثر من ذى قبل، وهم يشعرون ويتصرفون كأمة.

وإنى لشديد الأمل بأن هذا التطور هو خير ما يضمن دوام الاتحاد » وتعتبر هذه الحرب حرب الاستقلال الثانية »

ثانيا — عرفت أمريكا أن الاستقلال الاقتصادى جوهرى تماما مثل الاستقلال السياسى ، بل عرفت ما هو أكثر من هذا، عرفت أن الاستقلال السياسى لا يمكن أن يقوم ولا يمكن أن تكون له قيمة إلا إذا قام على أساس الاستقلال الاقتصادى، ولهذا لجأت الولايات المتحدة إلى حماية استقلالها الاقتصادى ففرضت تعريفة جركية تسمح بازدهار الصناعة الأمريكية

مبدأ منرو :

سارت الولايات الأمريكية فى سياستها الخارجية على مبدإ العزلة كما رأينا، وقررت عدم الاشتراك فى أى اتحاد أوربى، كما قررت عدم التدخل فى شؤون الولايات الأمريكية التى تحصل على استقلالها

وفى ١٨١٧ تولى جيمس منرو رئاسة الجمهورية الأمريكية وكان شديد الرأى حازما فيما يقر رأيه عليه » وقد وضع منرو مبدأ هاما فى السياسة الأمريكية عرف باسمه وأهم ما جاء فيه :

أولا — إن أية أمة أمريكية تحصل على استقلالها لا يمكن أن تعود مستعمرة ثانية ، وأن أى اعتداء على استقلالها تعتبره الولايات المتحدة عملا عدائيا بالنسبة لها أو بعبارة أخرى وضع منرو مبدأ وجوب عدم تدخل الدول ، الأوربية فى الشؤون الأمريكية

ثانيا — إن قارتى أمريكا بما تتمتعان به وتحافظان عليه من حرية واستقلال قد أصبحتا غير خاضعتين لاستعمار أية دولة أوربية فى المستقبل

ثالثا — إن النظام السياسى للدول الأوروبية يختلف تماما عن نظام أمريكا ، ويجب أن تعتبر أية محاولة من جانب تلك الدول لبسط نظامها على أى جزء فى هذا النصف من الكرة الأرضية خطرا على سلامتنا وأمننا

رابعا — لم نتدخل ولن نتدخل فى شؤون المستعمرات القائمة أو البلاد التابعة لأية دولة أوربية

خامسا — لم نساهم بأى نصيب فى الحروب التى نشبت بين الدول الأوربية لأمور خاصة بها ، كما أنه ليس مما يتفق مع سياستنا أن نفعل ذلك . »

ولعل أحد القراء يسألنى : ما هى الظروف التى أدت إلى أن يصدر الرئيس منرو تصريحه هذا ؟ والجواب على ذلك أن بعض الأمم الأمريكية مثل الأرجنتين وشيلى قد انتهزت فرصة الثورة الفرنسية وانشغال أوربا أثناء حروب نابليون وأعلنت استقلالها وخروجها على إسبانيا . وفى ١٨٢٢ خول الرئيس مونرو — تحت ضغط شعبى عنيف — سلطة الاعتراف بالدول الجديدة وهى كولومبيا وشيلى والمكسيك والبرازيل، وتبادلت الولايات المتحدة التمثيل السياسى مع هذه الدول الناشئة ، وتم اعتراف الولايات المتحدة بهذه الدول على أنها دول شقيقة مستقلة تقف معها على قدم المساواة مكونة جزءا من أمريكا الحرة

فى هذه الأثناء كانت الدول الأوربية الكبرى قد كونت التحالف الرباعى وكان الغرض الرئيسى من إقامته منع فرنسا من العودة إلى الثورة وتهديد السلام الأوربى ، ولكن مترنيخ رئيس وزراء النمسا وزعيم الرجعية وعدو الحرية والقومية حاول تأويل نصوص المحالفة الرباعية تأويلا يمكنه من دعم الحكم المطلق الذى كان قائما فى النمسا ومن مقاومة الحركات القومية . وقد نجح فى كسب قيصر الروسيا وملك بروسيا بل وفرنسا إلى جانبه . احتجت إنجلترا على ذلك التدخل فى شؤون الأمم الذاتية ولكن احتجاجها ذهب عبثا ، فقررت الدول القضاء على الثورات التى قامت فى نابلى وفى بيرمنت ١٨٢٠ تطلب الحكم الدستورى وعهدت إلى النمسا بتنفيذ ذلك

ثم قامت ثورة دستورية فى إسبانيا ١٨٢٠ فقررت الدول القضاء عليها فى مؤتمر فيرونا ١٨٢٣ ووكلت إلى فرنسا تحقيق ذلك . خافت أمريكا من أن تقضى فرنسا على الثورة الدستورية فى أسبانيا ثم تنتقل بعد ذلك إلى القضاء على استقلال الدول الأمريكية الناشئة لتكون لها مناطق نفوذ فأعلن رئيسها منرو مبدأه السابق حتى يمنع فرنسا أو غيرها من التدخل فى شؤون الدول الأمريكية الجديدة

وقد احتجت إنجلترا على تدخل الدول فى شؤون إسبانيا،

وخافت أيضا من أن يمتد نفوذ فرنسا إلى الدول الأمريكية التى كانت تستأثر بجانب كبير من تجارتها الخارجية ، ولكن احتجاجها ذهب أدراج الرياح فسارع وزير خارجيتها كاننج إلى الاعتراف باستقلال الدول الأمريكية الجديدة « حتى ينشئ » كما قال « عالما جديدا يوازن ما تحصل عليه غيره من الفوائد فى العالم القديم »

قويسنا أبو الفتوح عطيفة

في الأدب الشرقي :

الرديف فى الشعر الشرقى

للأستاذ عطا الله ترزى باشى

إن الأشعار الشرقية فى جمالها وجوهرها تتشابه إلى حد عظيم ، وقد حصل هذا التشابه نتيجة بعض العوامل التى أثرت فى كل من هذه الأشعار . فقد اصطبغ الأدب الشرقى بوجود هذه العوامل ، وهى كثيرة ، بلون خاص يميزه فى أساسه عن الأدب الغربى تمييزا بينا . وينبغى أن نجعل رابطة الدين فى مقدمة تلك العوامل

لقد كان أثر الإسلام عظيما فى الحياة الأدبية عند العرب . ونجد أن هذا الأثر قد امتد كذلك إلى الآداب الشرقية الأخرى . فأصبحت هذه الآداب متأثرا بعضها ببعض ؛ فقد تأثر الأدب الفارسى بالأدب العربى وبالعكس ، كما أن الأدب التركى تأثر بهما ، حتى لأصبح الشاعر التركى فى وقت من الأوقات يجيد اللغتين العربية والفارسية بقدر ما يجيد لغته الأصلية فينظم فيهما الأشعار . وقد خلف كثير من شعراء الترك دواوين كثيرة فى الفارسية والعربية

وكذلك كان حال الشعراء الفرس ؛ فقد اصطبغ الشعر الفارسى بطابع الشعرين العربى والتركى . وهكذا قل عن الشعر الأردى فإنه مزيج من عدة لغات إسلامية حية أهمها الفارسية والعربية والتركية وعليه فقد وجد ، بسبب هذا الدين الحنيف ، اتصال وثيق بين الأشعار الشرقية

ولقد بلغ هذا التشابه درجة توحدت فيها قواعد الأوزان وكثير من الأسس الأخرى الموضوعة للمنظومات الشعرية فى الشرق

ومع ذلك كله فإن كلا من هذه الآداب يحتفظ بطابعه الخاص الذى يميزه عن غيره . فهنالك مظاهر قوية تميز الأشعار الشرقية بعضها عن البعض الآخر ، وهى التى تستند عليها قواعد نظم الشعر من بعض الوجوه

ويدور هذا المقال حول « الرديف » الذى يميز الشعرين التركى والفارسى وغيرهما من الأشعار الشرقية عن الشعر العربى تمييزا واضحا

والرديف فى اللغة بمعنى الراكب خلف الراكب وكذلك الردف بكسر الفاء (المنجد) . وقال الفيروز آبادى : الردف بالكسر الراكب خلف الراكب كالمرتدف والرديف . . وكل ما تبع شيئا . . والليل والنهار وهما ردفان . . وجليس الملك عن يمينه يشرب بعده ويخلفه إذا غزا . . الخ (القاموس المحيط)

وقال القاموس أيضا الردف فى الشعر حرف ساكن من حروف المد واللين يقع قبل حرف الروى ليس بينهما شئ (١)

وسكت كل من فريد وجدى والبستانى فى دائرتيهما عن ذكر اصطلاح الردف أو الرديف فى الشعر

ومما يجدر الإشارة إليه أن الأدبين التركى والفارسى يفرقان بين الردف والرديف . فالشعر (المردف) بفتح الدال اصطلاحا هو غير الشعر (المردف) بتشديد الدال ، وقد عالجنا الأخير فى هذا المقال

ومن الجدير بالذكر أيضا أن الشعرين التركى والفارسى

(١) أنظر القاموس المحيط ط ١٩٣٣ ، ج ٣ ، ص ١٤٣

يختلفان عن الشعر العربي حتى فى الردف . فقد جوز العرب الردف فى حرفى الواو والياء، ذاهبا إلى صحة القافية بين (الفعيل) و (الفعول) . مثال ذلك ما قاله المتنبى فى رثاء محمد بن إسحق التنوخى فى قصيدة مطلعها :

إنى لأعلم واللبيب خبير   أن الحياة وإن حرصت غرور

فجمل كلا من الكلمات (خبير ، غرور ، بصير ، نور ، تسير ، طور . . الخ) قافية لقصيدته . وهذا الاستعمال غير جائز فى الشعر التركى والفارسى إطلاقا

* * *

والرديف فى اصطلاح شعراء الترك والفرس لفظ يتكرر فى نهاية كل بيت من الشعر[٢] . فهو عبارة عما تلا حروف الروى من حروف أو كلمات فى البيت مباشرة [٣]

وعلى هذا الاعتبار فإن لفظ الرديف يتكون من حرف أو حرفين أو أكثر ، أو من كلمة أو كلمتين أو أكثر، إذ يكرر الشاعر أحيانا ربع البيت أو ثلثه كما يتبين من الأمثلة الآتية :

قالت الشاعرة التركية (فطنت) :

غناى قلبه سبب دولت قناعت (ايمش
جهانده جاى فرح كوشه فراغت (ايمش

ومعناه : أن من بواعث استغناء الفؤاد القناعة ، ومن دواعى السرور فى هذا الكون الأزواء إلى الخلوة !

وقال الشاعر الفارسى العظيم (عمر الخيام) فى إحدى رباعياته :

آنان كه در آمدند ودرجوش (شدند
آشفته ناز وطرب نوش (شدند
خوردنده بيـاله ومدهوش (شدند
درخواب عدم جمله هم آغوش (شدند

وترجم هذه الرباعية إلى اللغة التركية نظما شاعر تركيا الأول وسفيرها السابق فى الباكستان الأستاذ يحيى كمال ، مراعيا فيها قواعد الردف :

أونلركه كاوب بودهره برجوش (أولرق
أذواقه صاربلدبلر قدح نوش (أولرق
إيجدكارى باده لرله مدهوش (أولرق
سوك أويقوبه والدبلرهم آغوش (أولرق

يعنى « هاج الذين غاروا فى بحر المسرة يشربون ، مرحين مدهوشين ، من كؤوس فناموا ، وهم سائرون إلى الفناء ، متعانقين . »

ولهـذا الشاعر التركى غزل مردف مشهور ، ننقل إلى القراء بعض أبياته ، ومنه يتبين أن الرديف يتكرر فى نهاية الشطر الثانى من كل بيت من الشعر بخلاف مطلعه حيث يتكرر فى شطريه [٤] :

آهسته جك كوره كارى مهتاب (أوياغـون
بر عالم خيـاله دالان آب (أوياغـون
آغوش نوبهارده خوا بيـده درجهان
سورسون صباحى حشره قدرخواب (أوياغـون
اى كل سكوته وارمايى أمرابله بلبله
كاشنده مست ذوق أولان أحباب (أوياغـون

ومعناه : « مهلا أيها الملاح لا تحرك مجدافيك سربما فيهتز الماء اللجى الغارق فى الخيال ، فيوقظ ضوء القمر !

إن السكون تمثال رائع وقد ضمه الربيع البهى إلى صدره ، فليتنا لم نتيقظ من سنة الكرى ، وليت الصبح أبد الدهر لم ينجل ! .

أيها الورد ناد البلبل بسكت ، لكى لا يتنبه الأحبة وهم فى الروض نائمون فرحين »

* * *

تلك أمثلة ذكرناها والرديف فيها متكون من كلمة واحدة،

(٢) انظر معجم المعلم ناجى فى اللغة العثمانية : مادة « الرديف »
(٣) المعلم ناجى أيضا فى كتابه الاصطلاحات الأدبية ج ١ ، ص ٨٤

(٤) وكذلك الرباعيات المردفة فان الرديف يتكرر فى نهاية كل شطر منها على الأغلب

وإليكم هذا المثال وفيه الرديف كلمتان :

بنم تك هيچ كيم زار وپريشان (أولمسون يارب
أسير دردعشق وداغ هجران (أولمسون يارب

يقول الشاعر : رب لا تجعل أحدا من الناس مثلى ، يشق فى نار الفراق مضطجعا بآلام الغرام

ويصادف أن يستوعب الرديف كل البيت باستثناء كلمة تترك للقافية ، كما قال الشاعر :

صفا (ى عشق كيم آكلير كيمكله سويلشه لم
وفا (ى عشقى كيم آكلر كيمكله سويشله لم

يعنى : من يفهم صفو الغرام ! مع من نتحدث ؟!. ومن يفهم معنى الوفاء فى الغرام ! مع من نتحدث ؟!.

ومن النادر جدا استعمال مثل هذا البيت — الذى جرى مجرى المثل — فى الشعر

ولا يتسع المقال أن نسرد الأمثلة على الرديف الذى أصبحت الدواوين التركية والفارسية زاخرة به ، بل وأن الأشعار المردفة فى هذين الأدبين تفوق الأشعار غير المردفة عدا . والنوع الأول (أى الرديف) أسهل نظما للشاعر وأكثر تأثيرا على السامع من غير المردف . وأن نظم الشعر الخالى عن الرديف أصعب من نظم الشعر المردف . بيد أن المردف أكثر انسجاما ، وأشد وقعا من حيث النغمات من غير المردف

ولا يصادف هذا اللون من الشعر فى الأدب العربى إلا نادرا ، بل وذهب البعض إلى أن الرديف غير وارد فى الشعر العربى إطلاقا . فيذكر الشاعر التركى الشهير « نامق كمال » (٥) أن الرديف خاص بالشعرين التركى والفارسى دون الآداب الأخرى (٦) وإلى هذا يشير الدكتور طه حسين باشا (٧) قائلا : « إن الشعر العربى وحده ، هو الذى يختص بالتزام قافية واحدة فى القصيدة »

(٥) راجع كتابه « تخريب خرابات » ص ٣٦

(٦) ونرى أن الرديف وإن كان يعتبر من المميزات الأساسية لهذين الأدبين إلا أنه ورد فى الأشعار العربية ، وحتى فى الأشعار العربية ، أمثلة عليها كما يتبين ذلك من هذا المقال ..

(٧) فى كتابه « تجديد ذكرى أبى العلاء المعرى » ط ٣ ، ص ٢١٧

• • •

ولقد استشكل على البعض من الكتاب أمر التفريق بين الرديف والإيطاء ، فخلطوا بينهما خلطا عجيبا يكاد يذهب من الردف جماله

والإيطاء هو أن يتكرر لفظ القافية ومعناها واحد ، كما قال امرؤ القيس فى قافية — سرح مرقب — وفى قافية أخرى — فوق مرقب — وليس بينهما غير بيت واحد . .

ويلاحظ أن الإيطاء كلما تباعد كان أخف . وكذلك إن خرج الشاعر من موضوع إلى موضوع كأن يخرج من مدح إلى ذم . .

ومن الإيطاء قول ذؤيب :

سبقوا هوى وأعنقوا لهواهمو ... فتخرموا ولكل جنب مصرع

ثم قال فى صفة الثور والكلاب :

فصرعنه تحت المجاج بجنبه ... متترب ولكل جنب مصرع

فكرر تلك البيت . . . ولو أن الشاعر كان قد التزم القافية فى موضعى « فتخرموا » و « متترب » لعددنا « ولكل جنب مصرع » رديفا

وإذا اتفق الكلمتان فى القافية واختلف معناهما لم يكن إيطاء . وقال الفراء إنما يواطئ الشاعر عن عى . وإذا كرر الشاعر قافية للتصريع فى البيت الثانى لم يكن عيبا . نحو قول امرئ القيس :

خليلى مرابى على (أم جندب
ثم قال فى البيت الثانى : لدى (أم جندب (٨)

والواقع أن هذا المثال الأخير لا يخرج عن كونه حالة من حالات الرديف . إذ ينبغى أن نعتبر كلمتى (أم جندب) رديفا

ويقرب من هذا ما قاله توبة مخاطبا بعل ليلى الأخيلية :

أملك يا تيسا نزا فى مريرة ... تعاقب ليلى أن ترانى (أزورها
على دماء البدن إن كان بعلها ... يرى لى ذنبا غير أنى (أزورها

(٨) أنظر « العمدة فى صناعة الشعر ونقده » تأليف أبى على القيروانى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ج ١ ، ص ١١٣

وهذه قطعة مترجمة من شعر الشاعر الأردى الكبير (محمد إقبال) مردفة فى الأصل . وقد حافظ المترجم فى نفس الوقت على رديفها فى العربية :

اخلقن دنياك كى تحيا بها ... سر هذا الكون بالحق (الحياة

هى فى الحرية بحر زاخر ... وغدير فى حمى الرق (الحياة

تختفى فى الطين سرا وترى ... بقوى التسخير والخلق (الحياة

هى فى الغافل ترب هامد ... وهى فى اليقظان سيف جاهد

وفى هذا يقول الدكتور عبدالوهاب عزام بك فى هامش المقال الذى نشره فى العدد الأول من مجلة الثقافة (٩) حول الأدب الهندى الإسلامى :

« إن شعراء الفارسية والأردية (١٠) يجيزون أن تكرر كلة واحدة (١١) فى آخر الأبيات ويسمونها رديفا ، ولكنهم يلتزمون قبلها قافية . فالحياة فى الأبيات الثلاثة رديف ، والقافية فى الكلمات التى قبلها »

وينبغى اعتبار الضمائر التى تلحق بأواخر الأبيات فى الشعر العربى رديفا كما يتبين من هذه الأمثلة :

قال المعرى فى لزومياته :

مل المقام فكم أعاشر أمة ... أمرت بغير صلاحها أمراؤ (ها

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها ... فعدوا مصالحها وهم أجراؤ (ها

فهنا ينبغى أن نعتبر (ها) فى نهاية الأبيات رديفا

وقال سالم بن وابصة :

لعمرك ما أهويت كفى لريبة ... ولا حملتنى نحو فاحشة رجلى

ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ... ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى

وهنا ياء المتكلم رديف . . وفى المثال الآتى الضمير « نا » رديف .. وهو من شعر بشامة النهشلى

إنا محيوك يا سلمى فحيينا ... وإن سقيت كرام الناس فاسقينا

وإن دعوت إلى جلى ومكرمة ... يوم سراة كرام الناس فادعينا

(٩) الصادر بتاريخ ٣ يناير ١٩٣٩

(١٠) والتركية وغيرها . .

(١١) أو أكثر .. أو حرف أو أكثر ، كما وضحنا فى هذا المقال

وإلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التى يعجز المقال عن ذكرها . . .

ويشير الأستاذ محمد مهدى البصير (١٣) إلى نوع من الشعر الردف اخترعه البغداديون لسرد الحكايات والخرافات يسمى بـ (الكان وكان) وهو نوع من الشعر العامى قافيته مردوفة دائما ... وقد تطور حتى نظمت به الحكم والمواعظ ولكنه ظل محافظا على صبغته العامية إلى أن انقرض . . .

° ° °

ومهما يكن من أمر فإن العرب كما سبق لم تستعمل فى أشعارها الرديف إلا نادرا جدا . إذ يصعب على المحقق الباحث أن يعثر فى الدواوين الشعرية على أمثلة وافية من الشعر العربى المردوف . . أما الأمثلة التى أتينا بها فى هذا المقال وغيرها من الأشعار المردفة إنما وردت على لسان شعراء العرب عرضا من غير قصد . . هذا بعكس ما عليه الأمر فى الشعرين التركى والفارسى ، فإن الأشعار المردفة فيهما كثيرة . بحيث أنك لا تجد شاعرا من شعرائهما إلا وقد استعمل هذا اللون من الشعر فى ديوانه (١٤)

ولا يخفى ما لهذا النوع من الشعر من اللطافة والجمال والحلاوة ما لا نتذوقه فى غيره من أنواع الشعر ، فترى القارئ ينجذب إليه بقوة السحر الذى يتجلى فى سلاسة ألفاظه وسهولة تراكيبه ، ولذا يفضل الكثيرون من شعراء الترك والفرس نظم الأشعار المردفة . وقد شاع استعمال هذا اللون من الشعر فى الغزل أكثر من شيوعه فى باقى الأغراض

ولا غرابة فى أن نعثر فى آداب الأمم الأوربية على أمثلة لهذا النوع من الشعر ، لا نشك فى أن شعراءهم قد اقتبسوها من الشرق . وخير مثال نورده هنا القصيدة الإنكليزية التى

(١٢) راجع كتابه : الموشح فى الأندلس وفى المشرق ، ص ١٠

(١٣) وهناك فرق غير واضح بين الشعرين التركى والفارسى المردفين وهو أن الرديف فى الثانى غالبا ما يتكون من كلة واحدة بخلاف الأول حيث يكثر فيه الأشعار المردفة التى رديفها كلمتان أو أكثر . .

أبو الثناء الألوسى الكبير

« بمناسبة مرور مائة عام على وفاته »

للأستاذ محمود العبطة

— ٣ —

عزله عن الافتاء :

بعد سنين حافلة بجليل الأعمال ، يانعة بنهضة العلم وتقدم الأدب ورقى المعارف ، يرعاها الألوسى الكبير بعلمه الوافر وأدبه الثر ، وشخصه اللامع ... بعد هذه السنين التى هى بمثابة ضوء لامع ساطع بعده شهاب الدين الألوسى بالقوة والحياة ، فى تلك السنين المظلمة المعتمة ، وبعد تلك السنين الخصبة صدرت إرادة الخليفة العثمانى بنقل الوالى الصالح على رضا من ولاية بغداد وتعيين الوالى نجيب باشا مكانه (كانت ولايته عام ١٨٤٢ م) ولم يكن الوالى الجديد يقل عن الوالى القديم حبا للاصلاح وإيثارا للأمن والسلام ، وإن كان يفرق عنه فى إيثاره القوة حين ينقع العقل والتصرف الصحيح ، ويفرق عنه أيضا فى عنجهيته وكبريائه ، وعذره فى الخيلاء والكبرياء أنه من بيت السلاطين ، ويجرى فى عروقه الدم الملوكى ! وكما كانت بداية على رضا دليل شؤم ونحس على الألوسى ، إذ سجن فيها وعذب ، فقد كانت نهاية ولايته دليل شؤم ونحس على الألوسى بالذات وعلى (بغداد) التى وجدت فيه خير باعث لاسمها ومجدها أخيرا . . جاء محمد نجيب للولاية ، ولم يكن يعلم حالة أهليها وما هم عليه من تحزب وشقاق ، وحسد ونفاق ، وبعد أن استقر به المقام وتسلم زمام الولاية ، تحركت جيوش البغى والنفاق ، التى أخرسها عدل على رضا ، إذ تمكن أعداء الألوسى الكبير أن يفهموا الوالى الجبار أن مفتى بغداد يكرهه ويكيد له ، وأثر ما تمكن هذا القول من قلب الوالى ، تجمع الأعداء وعددهم أكثر من مائتين تبعهم جمع كبير من السوقة والرعاع ثم قصدوا قصر الوالى نجيب الواقع فى خارج بغداد القديمة وعلى شاطئ دجلة . وعندما قربت الجموع من قصر الوالى اندهش مما رأى وقال فى سره إن ثورة حدثت ، أو انقلابا يهدد ولايته وخليفته بالويل والثبور ، وعندما استطلع الخبر أخبره زعماء المظاهرة أن سبب البلاء ورأس الفتنة هو أبو الثناء الألوسى مفتى الحنفية الذى يشاركه فيها واعظ الجيلى ، وأن من الخير وقطعا لدابر الفساد عزل المفتى الألوسى من الفتوى ونفى الواعظ إلى مدينة البصرة ! (١) فأجاب الوالى طلب المتظاهرين وأصدر حالا أمره بعزل الألوسى من الإفتاء ، وذلك عام ١٢٦٣ هـ (٢) وقد سبقت هذه الحادثة ، حادثة أخرى تصور درجة حقد الوالى على الألوسى ودرجة لؤمه أيضا ، وتلك الحادثة الأخرى هى أن كتابا ورد الألوسى المفتى من قصر السلطان فى الآستانة ، يطلب فيه رجال القصر حضور مفتى بغداد إلى العاصمة العثمانية للاشتراك فى ختان أبناء السلطان عبد المجيد ؛ فطلب الوالى من المفتى الاعتذار عن حضور الختان ، فأجاب المفتى الألوسى طلبه وأرسل رسالة يعتذر فيها عن الاشتراك فى الحفلة (٣) والوالى الذى يطلب من الألوسى الاعتذار عن السفر يقوم بدور الثعلب الراوغ فيرسل إلى القصر العثمانى رسالة يقول فيها ما يشاء ويتهم الألوسى بأنه لم يحضر الحفلة إلا كبرياء واحتقارا ! (٤)

(١) المسك الأذفر (ص : ١٣)
(٢) أعلام العراق (ص : ٢٤)
(٣) المصدر السابق
(٤) المصدر السابق

مطلعها :

She is a rich and rare (land
Oh-she's a fresh and fair (land

وهى من نظم الشاعر المعروف (توماس أوزبرن) . ويلاحظ هنا أن الشاعر كلمة « لاند » فى آخر الأبيات رديفا ، والتزم فى الكلمات التى قبلها قافية ..

كركوك — العراق عطا الله ترزى باشى

ومهما كان السبب فقد عزل الألوسي من الإفتاء ، وانصرف بكليته إلى إتمام تفسيره وتعليم تلاميذه ، ومنادمة خلانه . وقد قابل أمر العزل برباطة جأش معهودة فيه بكل أطوار حياته مترقبا الأيام ، وتقلب الأحوال . كل هذا والوالي يتحين الفرص للقضاء عليه ، والفتك به ، ولما لم يجد سبيلا لذلك فقد قطع عليه مصدر رزقه الوحيد ، وهو ما تدره عليه تولية جامع مرجان من مال قليل يقتات به وأهله الكثيرون ، فأصدر الوالي نجيب أمره بعزله من التولية بعد أن عزله من الإفتاء وسائر وظائفه الأخرى ، وذلك بعد عزله من الإفتاء بخمسة أيام (٥) مع أنه عين متوليا على جامع مرجان قبل تعيينه مفتيا على مدينة بغداد ، هكذا تقول المصادر التاريخية ، وقولها الصدق ، ولكن للجبروت والاستبداد صولة وسلطة ، في عهد لم تقيد فيه سلطة الحاكمين بالقوانين والأنظمة والعرف المستقر

وبرفع الفتوى والتولية عن الألوسي الكبير توالت النكبات عليه ، وعضه الفقر بنابه حتى باع كتبه وأثاثه وحاجاته البيتية ليقتات أهله وعائلته الكبيرة بثمنها . وهو مع هذه المصائب منصرف إلى إنجاز التفسير والقيام بواجب الدراسة ومجالسة الإخوان . ويقول الألوسي في مقاماته التي هي منبع غزير وصورة صادقة لحياته وعصره ، خصوصا وأنه كتبها في سنيه الأخيرة . يقول واصفا وظيفة الإفتاء وتدخل الحكام في شؤون المفتي (٦) (وقد كنت أرى أمر الإفتاء ، أمر من القضاء ، حيث مزقت الشورى إذ ذاك أديمه ، وأسقمه أعضاء المجلس ذوو الآراء السقيمة ، أعضاءه السليمة ، فلم يكن يختاره إلا ذو جهالة ، قد جعل والعياذ بالله تعالى دينه لدنياه حباله ، وحاشاي أن أكون كذلك .) وبقي في حاجة ملحة إلى المادة ، وفي قلق نفسي لا يزيله إلا مجالسة إخوان الصفاء ، ومدارسة التلاميذ والطلبة . وعند وصول أحمد ابن الوالي ببغداد ، عرض شكواه عليه ، ووصف سوء حالته له ، فوجد منه أذنا صاغية ، وقلبا رحوما ، أزال منه بعض بلواه (٧)

(٥) المقامات

(٦) المصدر السابق

(٧) المسك الأذفر (ص : ١٢)

و — رحلته إلى الآستانة :

مضت السنة الأولى والثانية والثالثة ، والألوسي يتحمل ضربات القدر ، بعد أن سد باب رزقه ، وبعد أن لم يبق في بيته من أثاث وأشياء ما يباع ، حتى كاد — على ما يقول أن يأكل الحصير على مداد التفسير ، وقد وجد — وهو الخبير بتقلب الأحوال وطباع الناس — أن خير مخرج له هو أن يشد الرحال إلى العاصمة العثمانية .. خصوصا وحالته الماشية تزداد في الهبوط ، إذ لا مصدر للرزق له ، ثم إن دروسه التي يلقيها في بيته تلقى مجانا على سنة علماء بغداد . عزم الألوسي على السفر إلى استانبول ، ليعرض شكايته إلى أولي الأمر ، ويرفع ما بقلوبهم من كراهية وحقد . فشد رحاله في غرة جمادى الثانية عام ١٢٦٧ هـ (٨) (١٨٤٥م) وكان معه في قافلته المؤرخ سليمان والوالي عبد الكريم ومصطفى الربيعي وإقبال الدولة الهندي . تحركت القافلة ضحى جمادى ، تحمل كبار القوم ومعهم الألوسي وولده عبد الباقي ، وكان لسان حاله يردد قول الأمير الحيري :

ففيم الإقامة في بلدة   تناكرني بعد عرفانها

سارت القافلة على بركة الله فوصلت الموصل فجزيرة ابن عمر فديار بكر حتى وصلت سامسون ومنها ركب الألوسي إلى القسطنطينية . وصل المدينة التي كان يحلم بها والتي كانت المركز العصبي للدولة الواسعة ، وكانت استانبول في عهده عروس الشرق الأوسط ، لأن الأموال تجبى من أطراف المملكة لكي تمد هذه المدينة وتتزين ! فاتصل بشيخ الإسلام عارف حكمت الحسيني وقدم له التفسير فقابله الشيخ ببرودة غير معهودة ، وأخيرا تمكن الألوسي من إقناعه وإزالة ما بصدره من أقاويل ، وجرت بين شيخ الإسلام والمفتي السابق مناظرات ومباحث دلت على سعة اطلاعهما (٩) ، وأعانه شيخ الإسلام بالنزول بدار الضيافة بالقصر ، إذ قدم مذكرة إلى الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) ضمنها مطالبه وشكواه وأردف بهما بيتين من الشعر ضمن بهما شطرا لأبي فراس الحمداني والبيتين هما :

(٨) وصف رحلته في العودة إلى بغداد في نشوة المدام طبع عام ١٢٦٩ هـ

قصدت من الوزراء صدراً معظماً   وقد سامنى ضر وقد ساءنى دهر
فقلت لنفسى والرجاء موقر   (لنا الصدر دون العالمين أو القبر)

وبعد دراسة المذكرة صدرت إرادة سلطانية بتوجيه رتبة قضاء (أرضروم) له مع إعطاء هدية مالية عظيمة (١٠) وبقى فى العاصمة أشهراً مكرما محاطا بالإجلال، ثم أراد العودة إلى الوطن معتذرا من شيخ الإسلام الذى اقترح عليه الإقامة فى العاصمة فتوجه إلى بغداد فى ٢١ شوال عام ١٢٦٨ هـ ومعه فى القافلة والى بغداد الجديد رشيد باشا الذى جعله ساعده الأيمن فى بغداد، ثم وصلها فى ١٥ من ربيع الأول عام ١٢٨٦ هـ وحين الوصول أجرى له استقبال عظيم من قبل إخوانه، ومدة غيابه فى الرحلة الميمونة تقرب السنتين

و — الألوسى فى أيامه الأخيرة :

رجع الألوسى إلى بغداد بعد رحلة طويلة شاقة، ورجع إلى عادته القديمة يحاضر دروسه فى بيته وينادم أصحابه وقد يتردد إلى قصر الوالى الذى كان يستعين به، والألوسى قد شاهد فى حله فى بغداد وترحاله إلى جزء مهم من الدولة العثمانية، وشاهد الانهيار الروحى والمعنوى فى الدولة، فأراد أن يبعث الروح الإسلامية حية بيقظة تكون مستعدة حين اعتداء الغربيين على دول المسلمين فألف رسالة مهمة فى (الجهاد) (١١) وشرح كتبا أخرى قد ألفها قبلا (١٢) وكأنه كان يعلم بدنو أجله فأراد أن يهدى إلى الأجيال المقبلة تاريخا مفصلا لحياته ولعصره فكتب (مقامات) خالدة هى فى مقدمة كتبه الأدبية، وكانت المقامة الأولى إرشادات طيبة إلى أولاده النجباء، دالة على خبرة اجتماعية وحس دقيق. والألوسى مع قيامه بهذه الأعمال الجسام كان يتحمل آلام الحمى النافضة التى أصيب بها أثناء رجوعه من الرحلة إلى بغداد، إذ ابتلت جميع ثيابه، وبقى يتحمل هذا المرض الذى كان يعاوده

ز — وفاته :

وهكذا يتم الفصل الأخير من حياة الألوسى الكبير! حياة كلها كفاح مرير، ورجولة مثلى ورعاية للأدب، وتقديس للعلم

تحدر جسم الألوسى الكبير، بعد أن نحل عظمه، وهزل لحمه، ثم ارتفعت روحه إلى خالقها وذلك فى صباح ٢٥ ذى القعدة ١٢٧٠ هـ، وقد شيع جثمانه تشييعا حافلا، سارت به بغداد أجمعها، وبين التأسف والتوجع دفن الألوسى فى مقبرة عائلته فى مقبرة الشيخ معروف الكرخي. رحم الله الألوسى الكبير!

تمت

محمود العبطة

(١٠) أعلام العراق (ص: ٢٦)
(١١) المصدر السابق
(١٢) اسمها (سفرة الزاد لسفرة الجهاد) طبعت فى بغداد عام ١٣٣١ هـ
(١٣) من أدب الآباء والأبناء — لمحمود العبطة. الثقافة المصرية (عدد: ٦٤٩)

صـــالح على شرنوبي

للأستاذ رجاء عبد المؤمن النقاش

فى أمسية من أماسى سبتمبر الجارى ، وعلى شاطئ مدينة سمنود ، فى جلسة حالمة ضمتنى أنا والأستاذ أبو الفتوح عطيفة ، أخذ الأستاذ يحدثنى عن الآثار الفكرية التى تركتها فى نفسه إحدى زياراته للقاهرة ، وأخذت أصغى إلى حديثه الرقيق الدمم .. وفى لفتة من لفتاته المشرقة ، انطلق يحدثنى عن الأثر الذى تركه الشاعر الشاب صالح شرنوبى فى نفسه ، حين سمعه للمرة الأولى فى جمعية الشبان المسيحيين ضمن جماعة من شعراء الشباب ، وقد كان فيهم من المبرزين ، إن لم يكن أبرز شخصية وأميزها بينهم جميعا

قلت للأديب معقبا على لفتته تلك : إننى آمل أن يسد هذا الفنان الشاب ثغرة تركتها فى الشعر العربى وفاة على محمود طه ، إذ أننى فى الواقع أنظر إليه بعين الأمل فى مستقبله ، ذاك الذى يلوح لى مشرقا باسما من وراء الإرهاصات الطيبة التى أراها فى شعره وخصوصا وأنه ما زال فى ريق شبابه ، وميعة عمره

ومضى ذلك اليوم ، وفى صباح اليوم التالى ، بينما أتصفح جريدة الأهرام ، لفت نظرى فى صحيفة الوفيات اسم الفنان المبدع ، وقرأت .. فإذا بالشاعر الذى كنا نتحدث عنه بالأمس قد شد راحلته إلى هناك .. إلى عالم الفناء ، أو قل إلى عالم الخلود

لقد كانت لحظة رهيبة أشد الرهبة على نفسى ، عنيفة أقسى العنف على شعورى ، تلك اللحظة التى قرأت فيها النبأ المؤسف .. لقد وقع على وقع الصاعقة التى زلزلت كيانى كله ، وأشعلت فى أعماق كوامن الشجن ، ونكأت فى روحى جرحا عميقا كاد أن يندمل .. أجل ! لقد عاد هذا النبأ على جناحه هناك .. إلى صفحات الماضى القريب للأدب العربى ، فمنذ مطلع الربع الثانى من هذا القرن ، وحظ الأدب العربى سىء إلى حد يدعو إلى الأسف ، فكلما لاح فى أفقه نجم ، وتطلع الحيارى إليه على أمل أن يكون بزوغه هدى لهم .. كلما لاح هذا النجم وبدأ ضوءه يملأ الآفاق ، ويخترق حجب الظلام ، ويشق طريقه إلى القمة ، استيقظ الحالمون بعد قليل فغفوة على حقائق الواقع المخيفة ، وأفاق السكارى ليروا جثة بأخوسهم أشلاء ممزقة ولما يرتووا بعد من كأسه المحطمة أمامهم فى فناء الحانة الكئيبة الشاحبة

يوم فقـــد الأدب العربى أحمد العامى ومازال فى شبابه ، ممتلىء النفس ، غض الجناح . ولم يكد الأدب العربى يفيق من هول الصدمة ، حتى تمزقت من تاريخ الشعر العربى صفحة كادت أن تكون أنفس صفحة فيه .. هناك . يوم أصبح الناس على صوت الناعى لينبئهم أن أبا القاسم الشابى قد كفنته أعوامه الخمسة والعشرون . وما يكاد الناس ينفضون عن أفئدتهم غبار الذهول ، الذى عراهم حتى رأوا الأدب العربى يكاد ينفطر قلبه على فقيد جديد .. وكان الفقيد من السودان .. وكصاحبه أبى القاسم ـ لم يكن التيجانى يوسف بشير قد أتم فى طريق العمر خمسة وعشرين عاما .. وتتوالى الفجائع على رأس أدبنا المسكين ، فلا يمضى عام إلا وهو يودع إلى شاطىء الأعراف محمد عبد المعطى الهمشرى ، ثم يتبعه إلى نفس النهاية فخرى أبو السعود ، ويليه فؤاد بليبل . وها نحن نرى أمامنا نجما جديدا يخبو ، وعلى صرخات الأنين من الأفئدة الحرى ، والنفوس الملتاعة ، نشيع فى موكب من الأحزان .. صالح على شرنوبى

لم يكد نوره يسطع على الدنيا فيلفت إليه الأنظار ، حتى سقط فى طرفة عين كالبرق الخالب ، والسراب الكذوب .. إلا أنها قصة جديدة نستمها من تاريخ أدبنا المعاصر .. وصفحة أخرى ريانة الصبا ، مياسة الجمال ، يطويها هذا التاريخ ليحل محلها أخرى صفراء ذابلة ، توحى إلى النفس بالأسى وتدفع إلى محاجرنا منهمر الدمع

مضى صالح .. فى رونق شبابه ، فمضت معه شاعرية ناضجة وهيض إثره جناح جبار ، وانطوت بموته صفحة للفن الرفيع ما كانت لتقدر على طيها الأنواء والعواصف .. ولكنه الموت ! ولكنه القدر ، كانت روحه ألصق ماتكون بالفن ، وكان الفن ألصق مايكون بروحه .. كل ماعرفته عنه يتفق كل الاتفاق مع شخصيته الفنية ، التى رسمتها له فى ذهنى إثر قراءتى المتتابعة له، إذ لم تتح لى الظروف أن أتصل به اتصالا مباشرا يتيح لى أن أعرف كل شئ عنه .. كان المرجع فى رسم هذه الصورة فى رأسى هو شعره ، ثم بعض أصدقائه وزملائه الذين اتصلت بهم عن كثب وعرفت منهم بعض طباعه وخلائقه .. أول ظاهرة تلفت نظر الدارس فى شخصية هذا الفنان هى [illegible] .. الصدق فى أجل صورة ، حيث يصـ[illegible] ، ولا أثر للتصنع [illegible] إلى حيز الحياة ، إلا بعد تجربة نفسية تصهر فيها أحاسيسه ومشاعره ، تجربة يعيش فيها ويحس جوها ، ويكتشف دقائقها ، ويلم بحقائقها .. فأنت تشم من شعره فى كل قصيدة وكل بيت ، رائحة « الصدق » تقتحم أحاسيسك ، وتملأ مشاعرك ، فتهزك من أعماقك هزا عنيفا ، وتدفعك قسرا إلى متابعته والاندماج فى جو قصيدته بعد أن يلهب نفسك ، ويشمل وجدانك ـ استمع إليه فى قصيدته على ضفاف الجحيم ، وهو يخاطب القاهرة وأضواءها القاسية :

إلى هنا فعربدى وثورى ... ملء عنان اللهو والسرور
ومزقى بضحك الخمور .. ... غلالة ينسجها تفكيرى
ليستر العريان من شعورى ... ويحجب اللافح من سعيرى
الجائع المدمر الضرير ... يود لو يعصف بالقصور
وساكنيها عابدى الفجور ... الناعمين فى حمى الحرير
الغافلين عن أسى الفقير ... ولوعة الشرد المدحور
الوالغين فى الدم المهدور ... من عصب الكادح والأجير
إلى هنا يا جنة الحقير ... آكل جوعى وأضم نيرى

قف طويلا أمام تلك التعبيرات الصادقة ، المنطلقة من إحساس صادق ، [illegible] الظلال التى تتركها على صفحات [illegible] الملوح بحرارتها وقوتها ، قف أمام « العريان من شعورى » ثم أمام « عابدى الفجور » .. « الناعمين فى حمى الحرير » .. ثم قف بربك أمام الشطر الثانى من البيت الثامن « آكل جوعى وأضم نيرى » .. ثم قل لى هل هناك أصدق فى الإحساس والتعبير وفى دقة الأداء وعمقه ، من تلك التعبيرات ؟

ثم استمع بعد ذلك إلى هذه الومضات المتدفقة من أعماق وجدانه المشتعل :

هذا أنا فى العالم الكبير ... فوق ربى المقطم المهجور
متخذا من [illegible] سريرى ... من الحصى [illegible]
وتحت [illegible] الطير ... والقاصف المزمجر القرور
أنام نوم العاجز الموتور ... على عواء الذئب والهرير
وقهقهات ارعد فى الديجور ... تسخر من عجزى ومن تقصيرى

هنا تصوير صادق ، وصادق جدا ، لايقدر عليه إلا شاعر أحس أثر التجربة العميق فى نفسه ، بعد أن جمع إحساسه ، وحشد قدرته الفنية ، ليلتقط دقائق النظر حتى يخرج صادقا كما هو فى نفس الفنان ، وكما هو فى أعماق الواقع ـ ولا أترك هذه القصيدة قبل أن أقف أمام هذه الأبيات :

وأنت يا زنجية الضمير ... تدرين قدرى وترين نورى
فتفجرين ضحكة الغرور ... أو ترتدين كفن القبور
هازئة كالزمن المهجور ... من الشالى الفتى الطهور

قف أمام « زنجية الضمير » .. فلعل هذا التعبير يكون المفتاح الصادق لكل وثبة من وثبات شعوره وقفزة من قفزات فنه ، فى القصيدة كلها .. إنه يخاطب زنجية الضمير . فعليه أن يغترف من منبع السخط عليها ، كل لفظة تتناسب مع جو القصيدة العاصف ، وكل حركة تتفق وموسيقاها الصاخبة . الصدق .. صدق الفنان . هو الظاهرة الأولى فى شخصية صالح شرنوبى .. ويلى ذلك ظاهرة الانطلاق .. الانطلاق الحر الذى لايقيده قيد ولاتحده حدود .. وهذا الانطلاق الفنى لايتوفر إلا لكل شاعر

جبار الجناحين، قادر على التحليق فى الآفاق الواسعة، مكتمل الأداة، يمعن فى حرية من فنه الذى لا يضيق به ، ومن نفسه التى تتسع لزاد من الأحاسيس ، لا يعنيه ضعف فى الملكة أو جمود فى الطاقة، ترى ماذا أقصد بالانطلاق ؟ الانطلاق فى رأيى ، هو أن يكون الفنان صاحب « نفس خاصة » ينظر بها إلى زوايا الحياة نظرة خاصة به وحده ، ويتأثر تأثراً له خصائصه المنفردة ، ومميزاته التى تهيئ للفنان شخصية لا تضيع فى غمار الشخصيات الفنية الأخرى، ثم هو التعبير عن الإحساس بصدق بالغ مع التحلل من كل القيود التى تفرض من خارج النفس الفنانة .. الانطلاق مجملا، هو كما يقول صالح نفسه فى قصيدة « الشاعر » :

شاعر الكون لا يقيده الكو   ن وإن ضمه تراب وماء
ساحر النور والظلام ، وكم يسمو   .. فتفنى فى نوره الظلماء
قلبه العالم الكبير ونجوا   ه حنين ورحمة وإخاء
خلقه كالضياء فى كل حال   فهو فى الحان والمصلى ضياء
عقله مسرح بنته المقـادير   وشدت ظلاله الأضواء
أزلى .. ممثلوه رؤاه   والأمانى المجنونة الخرساء

فالنظرة الفاحصة التى تتخطى بدقتها وروعتها وعمقها ظواهر الأشياء ، والإحساس الشامل ، والأفق الواسع ، والتعبير الصادق ، والشخصية الخاصة . كل هذه الأشياء هى حدود الانطلاق الذى يرفع من قيمة الفنان شاعرا كان أو موسيقيا أو مصورا

وهذا الانطلاق ظاهرة تلفت النظر فى شخصية صالح الفنية فى كل شعره على الإطلاق ، تحسه وأنت تقرأ له : فى لفظه وموسيقاه ، فى افتنانه وصوره ، فى دفقات وجدانه الشاعر ، ونبضات قلبه الفنان .. أو ليس منطلقا ذلك الذى كأنه يستشف حجب الغيب وهو يقول فى « أشواق الربيع » :

تعالى نعانق الحب   فقد خلقنا للحب
لنروى ظمأ الدنيا   بما يوحى به القلب
فقد يخنقنا الترب   ولم نعشق ولم نصب
وننسى أننا « كنا »   وفى أيامنا جدب
تركناه بلا رى   وفينا النهل العذب
تعالى فالردى الجبار   لا يحنو ولا يرحم
وهذا سيفه المخضو   ب لا يبلى ولا يثلم
يربى ومضه مالا   يربى ظله الأقتم
تعالى فالغد المرهوب   غيمان السنا مبهم
ويا ضيعة دنيانا   إذا ولى ولم نعلم ..

أو ذلك الذى يقول فى « الأفعى » مصورا لنا موقفا خالدا من مواقف البشرية ، هناك ... حيث يتصارع جسد المرأة ، وجسد الرجل صراعا خالدا ، .. ولكن المرأة فى هذه القصيدة ليست امرأة عادية ، .. إنها أفعى ، إنها بغى ، .. وعليه ينطلق فى تلوين الصورة وتظليلها مختارا لها ما يناسبها من الألوان والظلال .. وذلك ما يبدو واضحا فى القصيدة الرائعة :

إشغلينى بما تبذلين منى   وأمانى بالغرام سمعى وعينى
بفنون الإغراء باللهب الثا   ئر من جسمك البديع الأغن
جسمك العبقرى شكلا وظلا   القوى الغنى عن كل حسن ..
إشغلينى فقد تنالين من عمـرى   يوما ، تقضيه كالحالمين
عند هذا الركن القريب من الأر   ض وإلا فعند أبعد ركن
هو يوم كأى يوم سيمضى   أو مضى فالحياة لون كلون
سوف نقضيه وحدنا .. ثم ترضين ، وأشكو ، وتشتكين ، وأنى
فى غرام مستهتر . . . يتصبى   كل شئ فينا ، ويحيى ويفنى
فى صراع يطول بالراحتين   وبجسمى وجسمك الأردين
وبما فى شبابنا من حياة .   واشتهاء يطغى ، وشوق يغنى
بين خمر رخيصة وأغان   ساقطات ، تجرى ، على غير لحن
ودخان معطر ، نتعاطا   ه بعيدا ، فى وكرنا المستكن
وحديث مهلهل من لياليـ   ك وعن قلبك الصغير المسن
ونكات حفظتها من « أبى النوا   س » أو من حجا الحكيم المفن

تتقاضينى عليهـــا حياتى ونقوايَ قد رجمت بظن ...

وننتقل بعد ذلك إلى شعر المناسبات عنده ، لنرى أن أهم ظاهرتين فيه أيضا هما : الصدق والانطلاق

وبين يدينا قصيدته « فاروقية » قائمة على ذلك بالدليل ، شاهدة عليه بالبرهان ... يقول فى مطلعها : —

حادى الشمس لا تعجل سراها فهنا لو علمت نبع سناها
مل بها ساعة ... تبث هواها لجيــل هامت به مقلتاها

ويقول فى ختامها الرائع : —

ملك تخشع القوافى لديه ناهلات من سحره معناها
كل أيامه ، ملاحم مجد ملأ الدهر كأسه من طلاها
إن تناهى القصيد دون علاه فمانى علاه ... لا تتناهى

وكل ما عرفته عن حياته بعد ذلك موافق تماما لشخصيته الفنية التى استخلصنا حدودها من شعره ... فقد كان — على ما علمت — مسرفا لا يبقى فى يده على شئ ، سمح الخلق ، رضى النفس ، ... شئ واحد أثار تعجبى ودهشتى ، ذلك أنه كان شابا حدث السن ، إذ ما كنت أتصور أن كل هذ النضج وكل هذه الأصالة ، يمكن أن تتوفر لشاب فى مثل سنه ، والخطأ فى دهشتى وتعجبى واضح بين ، إذ أن القرائن فى ماضى أدبنا العربى ، وغيره من الآداب ، لا تنكر حدوث ذلك ، وفوق هذا ، فإن العبقرية غلابة على السن والجنس والنوع ، فليس من لوازمها أن يكون العبقرى شيخا ، ولا من موانعها أن يكون رجلا لا امرأة ، أو مصريا لا فرنسيا ... ذلك لأن العبقرية كما قالوا لا حدود لها من سن ، أو جنس ، أو نوع

رحمك الله يا صالح ... إنها لخسارة فادحة حلت بالأدب العربى ، كم أدمت من نفوس ، كنت موضع آمالها ، وقبلة مناها ، وكم حطمت من أفئدة ، كنت ساكن سويدائها ، ورب هواها ...

وإن كانت حياتك مثلا من الصدق والانطلاق ، لقد كان موتك ضربا من العبر التى لا تتكرر فى كل حين ولكنها — على قلتها — خالدة ، وصفحة باقية ، جذبت إثرها من كتاب التاريخ صفحات ، ... وإن يجد قائل ما يرثيك به خيرا من قولك أيها الفنان :

مات فرد ممن شدا الحق فيهم « أنتم الناس أيها الشعراء »

رجاء عبد المؤمن النفاسه

٥ — أصحاب المعالي

(إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفسافها)

« حديث شريف »

للأستاذ محمد محمود زيتون

هذا هو البارودي أو بالأحرى فلذات من شخصيته العالية الدائبة على طلب التمجيد والتخليد ، وليس ثمة أبعد همة من احتقار اللذة خمرا ومزمارا ، وأسمى مكانة من الاعتماد على النفس في سلوك المهيع بغية العزة والتماس الكرامة

والبارودي — والحق يقال — من طراز الأبيوردي الذي من شيمه معالي الأمور ، أما قمة النجم فهي موطئ قدمه ، فكيف برأسه :

الناس من خولي والدهر من خدمي
وقمة النجم عندي موطئ القدم

وللبيان لساني والندى خضل به يدي، والملا يخلقن من شيمي
لو صيغت الأرض لي دون الورى ذهبا
لم ترضها لرجي نائل هممي

ومن قليل أرى في مأزق حرج به تشام السريجيات في القمم

ويقول :

عجبت لمن يبغي مداي وقد رأى مساحب ذيلي فوق هام الفراقد
ولي نسب في الحي مال بفاءه رحيب مساري العرق زاكي المحاتد
ورثنا العلا وهي التي خلقت لنا ونحن خلقنا للعلا والمحامد
أبا فأبا من عبد شمس وهكذا إلى آدم لم يعنمنا غير ماجد

ومن العجيب أن العرب في شتى الأعصار والأمصار لم يفارقهم هتاف المجد في الروحات والغدوات ، وما من شيء يحتفلون بذكره في نثرهم وشعرهم أهم عندهم من المعالي

يقول حسان بن ثابت في مدح جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان :

دار القوم قد أرام مرة فوق الأعزة عزهم لم ينقل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

ويقول لبيد :

فاقنع بما قسم المليك فإنما قسم الخلائق بيننا علامها
فبنى لنا بيتا رفيعا سمكه فسما إليه كهلها وغلامها

ويقول شاعر في رثاء الأحنف بن قيس :

فما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

ويقول لبيد عند النازلة ، والنجوم والشهب والجبال تراوده :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

وكذلك صفي الدين الحلي . وهو يرثي صديقا له غرق بدجلة :

أصفيح ماء أو أديم سماء فيه تنور كواكب الجوزاء
ما كنت أعلم قبل موتك موقنا أن البدور غروبها في الماء

ومنها :

أنف العلاء عليك من لمس الثرى وحلول باطن حفرة ظلماء

ويقول :

حبك الأوطان عجز ظاهر فاغترب تلق عن الأهل بدل
فبمكث الماء يبقى آسنا وسرى البدر به البدر اكتمل

والساعاتي أيضا يذكر المعالي عند الرثاء فيقول :

بكت عيون العلا وانحطت الرتب
ومزقت شملها من حزنها الكتب

وقال آخر :

كل شيء إذا تناهى تواهى وانتقاص البدور عند التمام

وقال غيره :

كأن الفتى يرقى من العمر سلما إلى أن يجوز الأربعين فينحط

وقال ابن سارة :

لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك
الأعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وإن كرها فراقها الثاويان البدو والحضر

وفى الكرم يقول الشاعر مادحا عمرو العلا هاشم :

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه
مر السحاب ولا ريح تجاريه

وفى الهجاء يقول الحطيئة للزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

وفى الحكم يقول الهذلى :

تالله يبقى على الأيام ذو حيد   بمشمخر به الظيان والآس

وفى المال يقول الحافظ :

تبا لمن آتاه رب العلا   مالا ولم يرزقه إنفاقه
فالمال كالآل متى لم يكن   يبين الإنفاق إشراقه

وكان فى العرب رجل اسمه « أنف الناقة » نسبت إليه قبيلته لأنه سيدها وهو جعفر بن قريع ، وكان كل فرد فى هذه القبيلة عرضة للسب والتعيير حتى قال الحطيئة فيهم قوله :

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهمو   شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
قوم همو الأنف والأذناب غيرهمو
ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

عندئذ جعلوا يفخرون ، وإذا سئل أحدهم من نسبه لم يبدأ إلا بقوله :

ابن أنف الناقة . وقد كان يغضب إذا ذكر

وفى المدح يضع زهير بن أبى سلمى هرم وقومه فوق الشمس :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم
قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

وقالت بنت لبيد تمدح :

أشم الأنف أصيد عبشميا   أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا   عليها من بنى حام قعودا

وكان الأصمعى وأبو عبيدة يقولان « عدى بن زيد فى الشعراء بمنزلة سهيل فى النجوم يعارضها ولا يجرى معها مجراها .. »

وعدى هذا هو القائل :

نحن كنا قد علمتم قبلكم   عمد البيت وأوتاد الإصار

ويقول ذو الإصبع يرثى قومه :

لمن كانت أعالى الأرض   فالسران فالعرض
إلى ما حازه الحزن   فما أسهل المحض
إلى الكفرين من نخلة   فالدارين فالرض
لهم كان جمام الماء   لا الرحى والبرض
فمن ساجلهم حربا   ففى الخيبة والخفض
وهم نالوا على الشنآن   والشحناء والبغض
معالى لم ينلها الناس   فى بسط ولا قبض

وقال محمد بن وهب الحميرى :

ولما رأى الله الخلافة قد وهت   دعائمها والله بالأمر خابر
بنى بك أركانا عليها محيطة   فأنت لها دون الحوادث ساتر
وأرعن فيه للسوابغ جنة   وسقف سماء أنشأته الحوافر
لها فلك فيه الأسنة أنجم   ونقع المنايا مستطير وثائر
ولو لم تكن إلا بنفسك فاخرا   لما انتسبت إلا إليك المفاخر

وقال شاعر قديم :

فلال مجد فرعت آساسا   وعزة قعساء لن تناصى

وقال يزيد بن الطثرية :

عدت من عليه تنفض الطل بعدما
رأت حاجب الشمس استوى فترفعا

وقال أحدهم يصف حديقة :

ترفعت عن ندى الأعماق وانحدرت
عن المعاطن فاستغنت بسقياها
فاهتز بالبقل والريحان أسفلها   واعتم بالنخل والرمان أعلاها
أيا معاوية اشكر فضل واهبها   وكلما جئتها فاعمر مصلاها

وقال البلوى فى وصف بيت :

وقد حلوا أعاليه بتبر   وقد بسطوا أسافله رخاما
وقد جعلوا له بابا وقفلا   وحلوا بابه ورقا وساما

وقال آخر :

فاستنزلوا أهل (جو) (١) من منازلهم
وهدموا شاخص البنيان فانضما

وقال حسان يهجو نوفل بن الحارث :

(١) أهل جو هم أهل اليمامة

وما ولدت أبناء زهرة منهمو ... صحيحا ولم يلحق بمجانوك المجد

والبهاء زهير يقول :

على الطائر الميمون يا خير قادم ... وأهلا وسهلا بالعلا والمكارم

ويقول ابن سناء الملك :

وما أنا راض أنني واطئ الثرى ... ولي همة لا ترتضي الأفق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكاني ... لخرت جميعا نحو وجهي سجدا

ويقول صفي الدين الحلي :

سلي الرماح العوالي عن معالينا
واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا

وفي وصف الفرس يقول الثعالبي :

يأيها الملك العزيز ومن له ... شرف يجر على النجوم ذوائبا
أصلحت بين العالمين بهمة ... تذر الأجانب بالوفود أقاربا

ويقول مهيار الديلمي :

وأبي كسرى علا إيوانه ... أين في الناس أب مثل أبي

وتقول هند بنت طارق في النسوة يوم أحد وهن يضربن الدفوف والمعازف :

نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق

والطارق هو النجم الذي هو زحل ، فهي تقول نحن بنات من بلغ العلو وارتفاع القدر كالطارق ، وما أدراك ما الطارق : النجم الثاقب

وأنشد أبو بكر الأيادي لامرأة من العرب عن عنها زوجها :

فقدتك من بعل علام تدكني ... بصدرك لا تغني فتيلا ولا تملي

ويقول شاعر ارتفع بأمانيه للناس فوق ما يتمنى الناس :

سقى الله أرض العاشقين بغيثه ... ورد إلى الأوطان كل غريب
وأعطى ذوي الهيئات فوق مناهمو ... ومتع محبوبا بقرب حبيب

هذه شوارد كلها شواهد على أن الشعراء العرب لم يكونوا بمنأى من المعالي مادية وروحية في كل ما تتفتق به قرائحهم ، وهذه ظاهرة قلما توجد في الآداب الأخرى على هذا النحو من التنويع والتوزيع . وصدق ابن قتيبة حين يقول :

« . . ويقال ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء الجاري ، والشرف العالي ، والمكان الخضر الخالي »

نستطيع أن نقول في أمان وأمانة إن الروح العربية كانت مجالا لتوليد هذه المعاني ، وإنشاد تلك المعالي ، حتى إذا جاء الإسلام كانت منه في موضع الرعاية والتقدير ، ولا سيما فيما يرفع المجتمع إلى أسمى الدرجات الإنسانية ، وذلك يؤدي حتما إلى انعكاس المعالي الاجتماعية على النفس المفردة ، فكان الإسلام أشبه بالبؤرة من العدسة اللاقطة العاكسة معا : تلتقط ما دون العصبية المقوتة ، وتحتفظ بالمفاخر لتتسلط إشعاعاتها على نفوس المؤمنين بهذه الرسالة الجديدة التي يدعو إليها محمد وهو من أواسط العرب وأشرفهم محتدا وفعالا

والله تعالى هو العلي العظيم المتعالي العالي الأعلى ذو العلا والعلا والمعالي . وصفة الله العليا هي شهادة ألا إله إلا الله

محمد محمود زيتون

المقامة المدريدية

للأستاذ إبراهيم الابيارى

أقلنا البحر على مبسوط مائه، وتحت منشور سمائه. وما هى إلا أن لفنا الوجود، فى مثل الثوب المشدود، قدانضمت أطرافه، نبحر ما نبحر وما فى ملتقى السماء بالماء منفذ، وطوانا الغيب فى ظلمات ريب قد تراكبت ألفافه، نفكر حين نفكر فيلتات علينا السبيل والمأخذ

ونحن إذا صافانا الماء، وكتب للماخرة الاستواء، مردودون إلى كل ماهية، مرددون بيت الشاذية:

وخطت هونا تهادى خطو ظبى لم يفزع

وزاع بالمائجة المائجة، فتلفتنا عما نحن فيه، إلى ما لابد إلى تلافيه، وبمصطخب مع لج البحر لج الفكر، وكأنهما قد التقيا على أمر، فنلقى غرق الأفكار، لا البحار. ويعيد الطود فيترنح كل من عليه ترنح السكارى قد أفلت منهم حبلان حبل العيون، وحبل البطون، هذا عن خوف، وذاك لانقلاب الجوف

ومنا من لو ملك أن يقطع ما بينه وبين الحياة لفعل يشترى الآجل بالعاجل، آخذا بقول القائل:

إن المنى إن يمكن قاطع أوداجه إن جاوز الصبر المدى

ويدركنا الغوث، بعد غيث، ونلحق البر، على مستقر

ولى لسان إذا طاوعته جهرا يكرر الحمد للمولى ويشكره

وأخطو إلى مدريد، على محمل حديد، وإذا أنا بين عشية وضحاها، على مغناها، فألقى عصا التسيار بياض نهار، وما أن أتفيأ، حتى أنهيأ

أمضى إلى الدار التى قد جلت باسمين
فاروق أرسى أسها بيمينه طه حسين

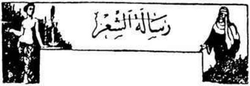
هنا آمال فى أمل، وأعمال للعمل، ودفائن مستورة، ومعالم مطمورة، حف بها الخافون، وخف إليها الخافون، تلقن عنهم، ولا نشركهم، على رابطة بيننا وبين الدارس، وشيجة تجمعنا بالوارث

إنا وإياكم بمنطق صادق أهل وإن بعد المدى بصلات

وحسبنا هنا عربية إليها نعزى، فنجزى بها أحسن ما نجزى، فالأيدى ممدودة إلينا بالعون، ونحن فى ظل من الرعاية والصون

وغدا سيثمر غرس غارسكم وغد مع العزم الصدوق قريب

مدريد إبراهيم الابيارى



مهداة إلى رأس البر :

فى دولة الطير

رمز « الفجافيج »(١)

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

يادولة الطير : كم سطرت موعظة
للناس لو فكروا فى الطير أحيانا
فيك الوفاء . . وفيك النبل أجمعه
لو أرهف الناس أسماعا وأذهانا !
سل السمانى وقد تاقت لموطنها
واستعذبت غمرات الموت تحنانا
طارت تجوب عباب البحر . . ما طعمت
زادا ، ولم ترو قلبا بات ظمآنا
تطوى الليالى خماصا كى ترى وطنا
يا من رأى طاويا يشتاق أوطانا
إن ينشد المرء رمزا للوفاء ففى
بذل السمانى وفاء قام عنوانا

• • •

يامن يريد مثالا للاخاء : لدى
دنيا الطيور إخاء لاح ألوانا :
سل « الفجافيج » لما شاقها وطن
— مثل السمانى — مرت فى الجو رهبانا
وهى الصغار الضئال الجسم . . لو نظمت
سمطا لأبصرت عقدا ضم مرجانا
طارت تجوب عباب البحر . . لست ترى
جسما لها . . يا لسرب سار حيرانا
الريح تدفعه خطوا . . وترجعه
خطوين . . فهو تزيل عندها هانا
لما تعثر واشتد البلاء به
أوى لأكرم طير عاش رحمانا
أوى لأجنحة « الكركى » ينشد فى
ظلالها من صروف الدهر أعوانا
فراح يحمله عطفا ، ويمنحه
قلبا حنونا على الأيام ما خانا
فى رحلة ترتجى الأطيار لو افتدت
أجسامها ومضت بالروح وحدانا
حتى تخف لأهوال تنوء بها :
مما يشيب وينسى الروح نسيانا

• • •

عشراً وعشراً رأت من صدره نزلا
ومن جناحيه أعشاشا وأكنانا
فلم تبال عباب البحر مصطخبا
ولم تحاذر ضباب الجو إن رانا
ولا أحست بلفح الشمس يصهرها . .
ألقت عن الروح أعباء وأشجانا
ونام عنها شقاء الدهر فابتهجت
وأسلمت للكرى قلبا وأجفانا
وطالع الوطن المحبوب مقلتها
حلما جميلا فناجت منه أغصانا
حتى إذا وصلت للشط سالمة
طارت فلم يزجها « الكركى » شكرانا
ولا رأت عنده منا يكدر ما
أسدت يداه . ولا بغيا وعدوانا

(١) صغار العصافير . تقبل فى موسم السمانى

فلم يصبها بسوء .. بل رأى - كرما -
عون الضعيف الذى لم يلق معوانا
ولو أراد لكانت طى قبضته
زادا شهيا لجوف بات جوعانا

* * *

يا للاخاء نرى « الكركى » آيته
فهل نرى مثله فى الدهر إنسانا ؟
إن القوى ليجتاح الضعيف بنا :
سلبا ، وغدرا ، وإيذاء ، وحرمانا
والطير ترعى على الأيام دولتها
فانظر لدنياهم .. واعجب لدنيانا

محمد يوسف المحجوب

دليـــلة

كانت تمر فى عهد ، ثم مرت فى عهد آخر ...
وبين العهدين مات رجاء !

للأستاذ أحمد كمال زكى

قيل لى مرت هنا وهى بطيئه | وخطاها رهن قيد ومشيئه
عبرت تحفر لحنا شله | إصبع يرفع إثما وخطيئه
كفنت فى شعرها موسنة | وأمان بين نهديها خبيئه
وتقى المطر من زنارها | فتق الأرض .. والأرض بريئه
خصرها أنقاض خصر قد هوى | يوم أغفى النور والشمس مضيئه
خلفها ماض وتمضى لا ترى | عميت حتى على الماضى جريئه

* * *

قيل لى مرت كما مرت دليله | تحمل الحب لشمشون وسيله
تنظر الأفق وفى أهدابها | سرها تؤثر فيه كل حيله
يا لها ... تذهب إلى واقف | فوق شلو كان فى نفسى خليله
لم أضع تحت سماها أملا | لترى ما كنت أخشى أن أقوله
كنت ماشئت ، وكانت لعبتى | لا كما كان الذى ضل سبيله
ضاع شمشون بحب غادر | وأنا ما كان لى يوما دليله

قيل لى مرت .. ومرت فى سكينه | لا ترى الباب ولا تلحظ دجونه
نهدت فى خطوات لا تمى | مثل هذا الطير يستجدى سجينه
لم أهن بعد ، وما كانت لها | لتر اليوم تجتر رعونه
أنت يا هذى ضلال صاخب | فاتقى الأعين فيما تفعلينه
قد رأيت الباب ، بل ما خلفه | فيه حفنة آمال رهينه
إنها لى .. بل لأنى حرة | لا اطين فى رواء الياسمينه

* * *

قيل مرت .. ثم ماذا يا فبيه | ليس حقلى ما ترويه شقيه
قذفتك النار شيطانا به | أيريد القوت فى أرض نقيه
أنا تكفير أبينا آدم | وحيانى ما لها حوا دعيه
ما لها فيك هوى أو بغية | وبها فيض أمان أزليه
ما لها إلا انعتاق مطلق | لذرى شم وراء الأبديه
أناذات .. فكرة .. بل نفحة | إن خطت جاءت حياة سرمديه

أحمد كمال زكى
مدرس بالمدرسة المحمدية

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الاتجاهات الأدبية الحديثة :

طلبت محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية إلى محرر هذا الباب ، أن يتحدث إلى مستمعيها عن « الاتجاهات الأدبية الحديثة في مصر » فأعد لها هذا الحديث الذي سجل في « استديوهات السيد بدير بالقاهرة » وأذيع مساء يوم الأربعاء الماضي ، ويظهر أن المحطة ستذيع أحاديث أخر عن الاتجاهات لأدبية الحديثة في الأقطار العربية الأخرى . فأنشر حديث الاتجاهات المصرية فيما يلي ، راجيا أن يتاح لي تتبع ما عسى أن يذاع عن الاتجاهات الأخرى ، فأحدث به قراء الرسالة لنقف على وجهات النظر في عالم الأدب العربي الحديث بمختلف بلاده

وهذا نص حديثنا :

كان أساتذتنا شيوخ الأدب في مصر ، أصحاب دعوة جديدة في التوجيه الأدبي ، ظهروا بها في الثورة على من عاصروهم من قدامى الأدباء ، وقاموا بدورهم الخالد في نهضة الأدب العربي الحديث ، ارتادوا آفاق الآداب الأوربية ، وهم ذوو ثقافة عربية ومواهب أصيلة ، ثم كتبوا وألفوا ، حتى جمعوا لنا هذه الثروة الأدبية التي تكون أدبنا الحديث

وموضوعنا — وهو « الاتجاهات الأدبية الحديثة في مصر » — لا أريد له أن يعني أدب أولئك الأعلام وذلك لأمرين ، الأول أن ذلك الأدب قد شبع من درسه والحديث عنه ، الأمر الثاني أنه قد تقادم عهده بعض الشيء ، وجد بعده أو معه أدب أولى منه بلفظ « الحديث » من الناحية الزمنية على الأقل

وقبل أن نقصد إلى هذا الأدب الحديث ، ونأخذ في تبين اتجاهاته ، أحب أن أذكر أمرا أراده محور هذا الموضوع ذلك أن المسألة في اتجاه الأدب ليست مسألة الأدباء وحدهم ، وإنما هي كذلك مسألة القراء ، بل إننا إذا نظرنا إلى أن الكتاب كانوا قراء قبل أن يكونوا كتابا ، ولعلهم أكثر الناس قراءة — إذا نظرنا إلى هذا وجدنا الأمر كله في توجيه الأدب راجعا إلى القراء ، فالجيل من الناس يشعر بحاجاته ، ويطلب من التفكير والتعبير ما يلائم روحه وعصره ، فيخرج من صميمه كتاب يعربون عنه ويقودون أفكاره

كان الأدباء قديما يلوذون بالملوك والأمراء وأشباههم من الكبراء ، لأنهم هم الذين يقرؤونهم أو يسمعونهم ، ويجزونهم على ما يقولون . ثم جاءت العصور الحديثة بالثورة على الطبقات الأرستقراطية ، فتقدمت طبقات متوسطة إلى الصفوف الأولى في المجتمع وفي الحكم والسياسة . وقد تهيأت الفرصة للطبقة المتوسطة في مصر عن طريق التعليم في صدر هذا القرن العشرين ، فارتفع منها أفراد إلى الطبقة العالية ، وكان القراء يتكونون من هؤلاء وممن ظلوا متوسطين في حال حسنة ، وكان حظ النوع الأول من الشعور بأنفسهم موفورا ، وكان الآخرون المتوسطون يتطلعون إلى الأولين ويحاكونهم ، فلم يكن يهم أولئك ولا هؤلاء ما تعانيه سائر طبقات الشعب من فقر وجهل ومرض . في هذه البيئة وفي ذلك الطور من الزمان نشأ أدباء الجيل الذي كان حديثا في ذلك الوقت ، فكانوا لسان الطبقة المتوسطة ومن ارتفع منها

وأرى من الضروري قبل الاسترسال في الحديث أن أنبه على أننا في هذا الموضوع بصدد اتجاهات الأدب ، لا وصفه والحكم على قيمته ، وأذكر كذلك أننا مضطرون إلى إجمال الكلام في هذا الحديث القصير ، فليس ما نقوله ينطبق على كل الأدب وجميع الأدباء ، وإنما هو على وجه العموم والإجمال

كان أولئك الأدباء يحلقون في أجواء متعددة ، وكان أكثر ما يطرقونه الدراسات الأدبية : دراسة الأدب العربي القديم ، ودراسة الآداب الأوربية القديمة والحديثة ، ومنهم من اتخذ التاريخ الإسلامي مجالا للتأليف في عرضه وتحقيقه ، ومنهم من اتخذ منه مادة لخيال أدبي وعمل فني . وهم كالطبقة التي صحبوا تقدمها في شدة الشعور بأنفسهم ، فكانوا أحيانا يسرحون مع

الخيال ويلزمون الأبراج العاجية ، يستوحون فيها الخواطر والأفكار البعيدة عن معترك الحياة الدنيا ، فإذا قصدوا إلى تصوير المجتمع لسوء لما مترفا وعرضوه عرضا ملهبا يقصد منه الإقناع أكثر مما تلمس فيه الحرارة

ثم تقدم الزمن وانتشر التعليم ، وألحت الآلام على الناس في أعقاب الحرب الأخيرة ، فأصبحوا ينظرون شزرا إلى تلك الآداب السابحة في أجواز الفضاء ، ويعدونها ضربا من العبث ، فهم لا يجدون فيها أنفسهم ، ولا يرون بها صدى لما يشغلهم ، فصاروا عنها من المعرضين

وقصد بعض الكتاب إلى الأدب الخفيف اللذيذ الخالي مما يفيد ، أو الأدب الماجن الذي يشبه الصورة العارية ، وكثيرا ما يرافقها ، وذلك ليجتذبوا القراء ، وانجذب القراء إليهم فعلا ، فتخدروا حينا ، ثم أفاقوا أو أخذوا يفيقون

سادت الكتابة الخفيفة الفارغة والماجنة بعض السنوات في أعقاب الحرب ، ولكن جاذبيتها أخذت تتضاءل بعد ذلك حتى كادت تمحى وأصبحنا نرى في السنوات الأخيرة كتابات تتجه إلى الشعب وتتناول مسائله ومشكلاته ، تراها في الصحف وفي الكتب ، وترى الناس يقبلون على قراءتها ويستزيدون منها ، والذي يسترعي النظر أنك إذا ذكرت كلمة الأدب أمام بعض هؤلاء الكتاب أو أمام الذين يقرؤون لهم ، بدا عليهم عدم الاكتراث ، كأنهم يقولون : دعنا في حالنا ! مالنا وللأدب .. وهم معذورون في ذلك ، لأن تحليق المحلقين من الأدباء في عالم الكواكب والنجوم قد جنى على المفهوم العام للأدب ، وصار كثير من الناس لا يفهمونه إلا على أنه مناقشة في الكلاسيكية والرمزية أو معركة على نسبة من الشعر إلى المتنبي أو أبي تمام !

وعلى ذلك أستطيع أن أقول إن الأدب الحديث في مصر يتجه الآن إلى الواقعية التي تهدف إلى صميم الشعب على أيدي كتاب من الشباب ومن الشيوخ أيضا ، يوجههم القراء الذين يزداد عددهم يوما بعد يوم ، وهذا الاتجاه لا يزال في أوائله ، وهو بطبيعة الحال سيزداد كلما انتشر التعليم وزاد عدد القراء من سواد الناس

وأرى أن هذا الاتجاه لم يرد إلينا من الخارج ، وإن كان مصاحبا لأشباهه في البلاد الأخرى ، إنما هو وعي جديد مستمد من داخل النفوس . وقد حاول بعض الأدباء أن يستوردوا مذاهب أوربية كالوجودية والرمزية والسريالية ، ولكن أحدا لم يلق باله إليهم

ذلك هو الاتجاه ، وهو كما قلت شيء آخر غير قيمة الإنتاج في ذاته ، ولا شك أن فيما يكتب كثيرا من الجيد

كشكول الأسبوع

□ بمناسبة إلغاء المعاهدة وتعديل الدستور للنص على لقب ملك مصر والسودان — أقترح أن يطلق على شطري الوادي لفظ واحد عن طريق النحت ، وليكن « مصرودان » ولتكن الجنسية واحدة وهي المصرودانية ، والواحد مصروداني

□ يمكن الآن أن يقال إن العقبات « الدبلوماسية » التي كانت تحول دون إنشاء معهد فاروق الأول للدراسات العربية في طنجة ، قد ذللت ، فقد انتهت المباحثات التي جرت بشأنه بين معالي الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف وبين الجهات الفرنسية ، بموافقة فرنسا على إنشاء هذا المعهد . ويهتم معاليه الآن بتنظيم افتتاحه

□ عرض أحد المستشرقين على مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، أن يقوم بإتمام ما بدأه الدكتور فيشر في معجمه المعروف والسعي للحصول على ما عمله فيشر من جزازات بعد سفره من القاهرة آخر مرة منذ عشر سنوات

□ صدرت الطبعة الثانية من كتاب « الإسلام — لا الشيوعية ولا الرأسمالية » للأستاذ البهي الخولي ، وهو من الكتب القيمة التي ألفت في السنوات الأخيرة للدعوة إلى مبادئ الإسلام وتطبيق نظمه في الحياة العملية . ويمتاز هذا الكتاب بالإفاضة في موضوعات العمل والمال وتشريعات الإسلام فيها ، موضحة بكثير من الأمثلة المأخوذة من الحياة الإسلامية الأولى ، ومؤيدة بأسانيد من الكتاب والسنة . ويلمح القارئ براعة المؤلف في توجيه ذلك إلى وجوب الانتفاع به في حياتنا الحاضرة

□ جاء من بيروت أن الحكومة اللبنانية تنظر الآن في إطلاق اسم أمير الشعراء أحمد شوقي بك على أحد الشوارع ببيروت تخليدا لذكراه

الرائع ، وفيه أيضا كثيرا مما تدفع إليه العجلة وحب الإكثار وابتغاء الكسب ، وفيه مع هذا وذاك كثير من الحذر والإسفاف

وإنى متفائل بمستقبل الأدب فى مصر ، لثقتى بهذا الشعب الذى يتعلم فيكثر فيه القراء الذين سيوجهون الأدب ويحملون الأدباء على الإجادة بالإقبال عليهم ، وبالتنبيه إلى قيمة ما يكتبون

ونسمع أحيانا من يعيب كتاب هذا الجيل لعدم عنايتهم باللغة والأسلوب ، ويرد عليهم آخرون بأن المهم هو المعنى ، ومعركة اللفظ والمعنى معركة قديمة ، تثار من حين لآخر ، ولاشك أن الذوق السليم يتطلب الجمال فى كل شئ ، فلماذا لانطلبه فى أسلوب الأدب ليكمل به جمال المعنى ؟ وإذا اعتبرنا المعنى بمثابة الروح واللفظ بمثابة الجسد أفليس من الكمال أن يكون الروح الجميل ؟ غير أننى لا أوافق القائلين بأن كتاب الجيل يهملون هذا الجانب فى كتابتهم ، فالجمال مسألة تتعلق بذوق العصر ، فالفتاة المصرية — مثلا — تتبع فى حليتها وتنسيق هندامها وثيابها غير ما كانت تصنعه الفتاة فى العصور الماضية ، وكذلك الأسلوب ، فكما تركت الفتاة الأقراط الذهبية ذات الوزن الثقيل ، وكما نبذت العقود ذات الأقراص المستديرة الكبيرة ، وكما تحولت عن الألوان الزاهية الصارخة ، كذلك فعل أدباء هذا الجيل ، إذ جانبوا العبارات الطنانة والتراكيب الرنانة ، ووجهوا همهم إلى الكلمة العذبة والأسلوب الأسلس ، أى أنهم يتجهون إلى البساطة واستخدام الكلام للوصول إلى الهدف ، وليس معنى هذا أنهم أهملوا ناحية الجمال ، وإنما هم يسيرون فى اتجاه الذوق المصرى العام الذى يؤثر جانب البساطة فى كل شئ . ومما يلاحظ فى هذا المقام أن أدباء الشباب جميعا متمسكون باللغة الفصيحة ، لا نرى فيهم من يدعو إلى العامية ، كما كان فى الجيل الماضى من يدعو إليها ، وكل ما فى الأمر أنهم يريدون أن يطوعوها ويقربوا بينها وبين اللغة الدارجة برفع الدارجة إلى الفصيحة

سيداتى وسادتى — لعلكم تلاحظون أننى إلى الآن قصرت الحديث على الكتابة ، ولم أتعرض للشعر . إننى فعلت ذلك حقا لأن اتجاه الأدب إلى الحياة الواقعة فى مصر إنما هو فى ناحية الكتابة فقط ، أما الشعر — على وجه الإجمال — فلم يتفضل بعد بأن يأكل من طعام الناس ويمشى فى أسواقهم

ونرى أن الشعر المصرى يسير الآن فى اتجاهين : الأول اتباعى كلاسيكى ، لا يزال أصحابه يقولون كما كان يقول القدماء ، وينظرون إلى الأشياء كما كانوا ينظرون ، وقد وصف أحد الظرفاء هذا الفريق من الشعراء بأنهم « شعراء الفنادق » ، يستقبلون القادمين ، ويودعون الراحلين ، وتظهر على وجوههم دلائل مختلفة ليس فيهاما يدل على حقيقة ما يعتلج فى نفوسهم . والاتجاه الثانى اتجاه خيالى فردى ، وهو اتجاه المدرسة الحديثة ، لا تزال مشاعر أصحابه معلقة بالحبيب الهاجر والبحيرة الساجية والخطرات المغرقة فى التأمل السابح بعيدا عن حياة الناس

وأعتقد أن تخلف الشعر عن النزول مع الكتابة إلى معترك الحياة ، هو الذى جعل الناس ينصرفون عنه ، أو هو على الأقل أحد الأسباب فى هذا الانصراف . والكلام هنا — كما سبق أن قلت — إجمالى ، فهناك من غير شك فلتات من الشعر تتصل بالحياة ، كما أن من الكتابة مالا يزال بعيدا عن الحياة

عباس خضر

البريد الأدبي

علم يغيب :

غيب الموت منذ بضعة أيام علما من أعلام فلسطين ، هو المربى الكبير الأستاذ أحمد سامح الخالدى ، فقد توفاه الله عن كهولة فاضلة ، ممتلئة بالخير والتقوى والمروءة، ولقد وهب حياته منذ شبابه للثقافة والوطنية والمثل العليا ، حتى غدا كاتبا مرموقا وعالما خبيرا بالتربية وأصول التدريس ، أشرف على التعليم العام، وأدار الكلية العربية بالقدس الشريف بكفايته وتوجيهه إلى جانب بحوثه وتحقيقه ، وله أشتات المؤلفات مطبوعة ومخطوطة ، وقد نزح عن موطنه حين عدا عليه الأعداء ، فأقام ببيروت عاكفا على التأليف والتصنيف ، ومديرا لشركة الطيران اللبنانى التى أسسها آل زوجته الأديبة الفضلى السيدة عنبرة سلام

وكانت « الرسالة » حفية بمقالاته حتى عددها الأخير ، فما أجدرها بالعزاء والتنويه بمآثر الفقيد الخالد

ولعل الأيام القريبة تتيح لى القيام بهذا الواجب

القاهرة وداد سكاكينى

١ — الى الأستاذ قطب :

أخى صاحب التصوير الفنى فى القرآن ...

قرأت فى البريد الأدبى من مجلة الرسالة الغراء العدد « ٩٥١ » تعقيبك على مقال السيد سامى أمين « النقد والشعر » فاستغربت من كاتب كبير له مكانة مرموقة فى العالم العربى أن يتصدى للرد على أديب لم نسمع به عدا هذه المرة ، ثم أخذنى العجب مرة أخرى عندما عرض الكاتب نماذج من شعر السيد شاذل طاقة فى العدد « ٩٥١ » من المجلة نفسها ولم يتعرض لشعر غيره من شعراء العراق المبدعين، فهذا الشاعر الذى تعرض لشعره السيد سامى أمين كان قد أصدر مجموعة من الهذر المنظوم سماها « المساء الأخير » وعندما عرضت فى أسواق بغداد لم تصادف الرواج لأنها ليست من الشعر بشىء لذلك أعرض عنها النقاد والأدباء.

أنا شاكر لك حسن ظنك بالشعر العراقى حيث تقول: «وهذا الذى عرضه لا يمثل نهضة الشعر العراقى حيث نلمح قوية مرموقة تشير إلى مقعد الزعامة الشعرية فى العالم العربى، ولعل الفرص تسنح لعرضها قريبا » لأنك أثبت أنك وأخوك صديقنا المداوى وصديقنا عباس خضر وأستاذنا الزيات فوق الربح الاقليمية والعصبية المصرية . أما عن آرائك فى النقد فيكفى أنك صاحب كتاب « النقد الأدبى » و « العدالة الاجتماعية فى القرآن » وأرجو أن لا تكون فى المستقبل إلا فى المكان المرموق الذى أعناه لك ولأمثالك من النابغين ، وحيا الله مصر ، واقبل من أخيك أصدق وأسمى آيات الإعجاب والإخلاص ..

٢ — نسبة شعر :

قرأت فى العدد الأخير من مجلة « المستمع العربى » التى تصدرها دار الإذاعة العربية بلندن مقالا للاستاذ « أبو الوفا محمود رمزى نظيم » عن الموشحات فى الشعر نسب فيه الموشحة التالية إلى ابن المعتز الشاعر العباسى :

أيها الساقى اليك المشتكى
قد دعوناك وإن لم تسمع
ونديم همت فى غرته
ويشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق إليه واتكا
وسقانى أربعا فى أربع

ونسبتها إلى ابن المعتز خطأ شائع صححه العلامة المرحوم طه الراوى إذ أثبت بعد بحث وتنقيب أنها للشاعر الأندلسى « ابن زهر » وقد نشر المرحوم بحثه فى مجلة « الرسالة » منذ سنوات ولا أتذكر الآن العدد المنشور به البحث ...

٣ — لمن هذا الشعر :

ذكر الأستاذ عبد العليم على محمود فى العدد « ٩٥١ » من الرسالة الحبيبة أن الأستاذ عبد الغنى حسن الشاعر المعروف ينسب فى كتابه « ملامح من المجتمع العربى » الأبيات الآتية إلى

الجارية فضل :

لأكتمن الذى فى القلب من حرق حتى أموت ولم يعلم به الناس
ولا أقول شكا من كان يعشقه إن الشكاة لمن تهوى هى اليأس

ولا أبوح بشئ كنت أكتمه عند الجلوس إذا ما دارت الكأس ونسبتها إلى فضل خطأ بل هى إلى الشاعر العباسى على ابن الجهم حسب ما قرأها فى الجزء الثانى من كتب المنتخب ..

وأقول أنا « بأن لدى نسخة من ديوان على ابن الجهم » بتحقيق صديقنا معالى العلامة الشاعر خليل مردم بك سكرتير المجمع العلمى العربى بدمشق ووزير الشام المفوض فوق العادة ببغداد الآن فلم أعثر على الأبيات المذكورة آنفا فى الديوان ، وهو ديوان بذلت فى سبيل إخراجه على هذه الصورة جهود لاتنكر ، ولا أخال أن تلك الأبيات إلا لعباس بن الأحنف الشاعر الغزل المشهور لأنها أقرب لعاطفته ، ورغم ذلك فهل فى الباحثين من أدباء العرب من يعرف نسبة الأبيات المذكورة فيرشدنا لها وله منا ألف تحية وإعجاب ؟ !

٤ — غنوة وغنية :

أخذ على الأستاذ الفاضل عبد الفتاح الجزار من الصافية فى العدد ٩٥١ من مجلة الرسالة الغراء بأن كلمة « غنوة » لا تدل على الاكتفاء واليسار ولكن كلمة « غنية » بالضم هى التى تدل كما فى مختار الصحاح ، وإيضاحا لذلك التنبيه أود أن ألفت نظر الأستاذ الجزار إلى أن كلمة غنية وغنوة هما فى معنى واحد وهذا هو الدليل ..

جاء فى الصفحة « ٣٧٤ » من لسان العرب لمؤلفه ابن منصور الأندلسى المتوفى سنة ٧١١ هـ . وهو أقدم مؤلفى المعاجم بعد ابن دريد صاحب « الجمهرة » المتوفى سنة ٣٢١ الذى يعد أقدم من وضع المعاجم فى العربية ، مادة « غنا » ما يلى :

استغنى الله سأله أن يغنيه قال وفى الدعاء اللهم إنى أستغنيك عن كل حازم وأستعينك على كل ظالم ، وأغناه الله وغناه « التشديد » وقيل غناه فى الدعاء وأغناه فى الخير والإسم من الاستغناء عن الشئ والغنية والغنوة بالضم والغنية بالسكون أيضا والغنيان وتغانوا أى استغنى بعضهم من بعض قال المغيرة بن حبناء التميمى :

كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

واستغنى الرجل أصاب غنى

وجاء فى الصفحة ٢٧١ المجلد العاشر من « تاج العروس » للسيد محمد مرتضى ، الزبيدى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ مادة « غنوة » الغنوة بالضم قال الكسائى هو الغنى وتقول لى عنه غنوة أى غنا وجاء فى الجزء الرابع ص ٣٦٤ من القاموس المحيط للفيروز أبادى الطبعة الثالثة ببولاق مصر سنة ١٣٠٢ مادة « الغنى »

والغنوة بالضم الغنى تقول لى عنه غنوة والغنوة والغنيان بالضم والإسم الغنية بالضم والكسر وكلها بمعنى اليسار والاكتفاء كما قلت فى ٩٤٩ من الرسالة

ومن هذا أود أن يعرف الأستاذ الجزار بعد شكرى له على ملاحظته أنى لا أعتمد على مختار الصحاح بقدر اعتمادى على لسان العرب لأن الفرع يجب أن يتبع الأصل والفضل للمتقدم كما قد قيل .

عبد القادر رشيد الناصرى

فتح الحرم المكى فى الليل :

جاء فى التلخيص الذى قدم به المرحوم الأستاذ سامح الخالدى الرحلة الحجازية لسيدى مصطفى البكرى الجملة الآتية فى ص ٩٧٧ من العدد ٩٤٧ الصادر فى ٢٤ من ذى القعدة هذه السنة ما يأتى :

(وكيف كان الحرم فى مكة يفتح خصيصا لأمير الحج الشامى) .

وهى عبارة توهم أن الحرم المكى كان يغلق فى الليل وهو أمر لم يحدث لأنه يمنع الطواف . والطواف لا يمنع فى أى وقت . وإنما وهم الأستاذ الخالدى فظن أن البيت هو الحرم . وذلك أن الشيخ البكرى ذكر فى ص ١٠٠٩ العدد ٩٤٨ من الرسالة ما يأتى : (فأيقظنى رفيق برفق وقال قم فإن البيت فتح للأمير الشامى الكبير الخ .) وبديهى أن المراد من البيت هو الكعبة المشرفة زادها الله تعظيما وأما الحرم فالمراد منه عرفا هو المسجد الكبير المتسع المحيط بالكعبة والمحتوى على المطاف وبئر زمزم — وأقول عرفا لأن حقيقة الحرم هى ما يدخل ضمن أعلامه التى هى من الشرق قرب عرفات ومن الغرب الشمسى قرب الحديبية ومن الشمال التنعيم أى مسجد السيدة عائشة وهكذا

لذا أرجو نشر هذا تصحيحا لعبارة المغفور له الأستاذ الخالدى وتفضلوا بقبول فائق الاحترام **عبد المنعم النجار**



اللص الشريف

للكاتب الأمريكي الفكاهي ستيفن ليكوك

ترجمة الأديب مصطفى أبو غربية

— سأقص عليكم أيها السيدات والسادة قصتى ، ولكم الخيار أن تصدقوا أو لا تصدقوا ما حدث لى . أما أنا فما على إلا أن أروى الحادثة بدون زيادة ولا نقصان فأعيرونى أسماعكم بضع دقائق

فى صباح أحد أيام الأسبوع وقع نظرى على شاب وسيم الطلعة ، واقفا أمام شباك التذاكر فى إحدى دور السينما ، فقلت فى نفسى — لقد سبق أن رأيت هذا الشاب مرات واقفا أمام شباك التذاكر ، فمن المحتمل أن يكون هناك سرا . ولم يخب ظنى — ففى لمحة البصر مد الشاب يده إلى جيب جاره وأخرجها بخفة وبها محفظة نقوده ، وبكل هدوء وسرعة دسها فى جيبه وسار بخطى متئدة مبتعدا عن شباك التذاكر خشية أن يراه أحد

وكنت لما أزل طالبا أدرس العلوم الجنائية، فأنا لست من رجال الشرطة ولم تكن مهمتى مراقبة اللصوص ومطاردتهم ، وقد سبق لى أن كتبت مقالة عن العلوم الجنائية وقد حازت إعجاب كل من قرأها . ولم يسبق لى أن تفهمت أو درست عقلية اللصوص النشالين أو شاهدتهم يسرقون ، ولأول مرة أرى فيها هذا اللص يمارس مهنته فى مثل هذا المكان ، ففكرت فى الأمر عاجلا وقلت فى نفسى — هل أترك الفرصة تمر بدون أن أستفيد منها؟ فلماذا لا أتتبع خطوات هذا اللص وأقف على حقيقة أمره — والدافع الذى يدفعه لارتكاب مثل هذه الأعمال . فلحقت بالشاب الذى نشل المحفظة من جيب جاره ورأيته داخلا صالات الرقص فتبعته مقتفيا أثره ، ثم دنوت منه وابتدرته قائلا — هل لى أن أجالسك ؟ ولا يريبك أمرى ، فأنا لست من رجال الشرطة ولا ممن يودون مشاركتك فى غنيمتك ، فلا تقلق ولا تضطرب فكل ما هنالك أننى طالب يدرس العلوم الجنائية وكاتب صحافى مبتدئ ، وقد لمحتك منذ فترة من الزمن قد مددت يدك إلى جيب جارك وأخرجتها بمحافظة نقوده ، وانسللت بخطى بطيئة . وتبعتك إلى أن دخلت هنا فلا تخف شيئا من أمرك عنى ، فهل لنا أن نتحدث بضع دقائق ؟

فابتسم الشاب ولم يضطرب ولم يرتب ، وأجابنى قائلا — إننى أعرف أنك لست من رجال الشرطة ، ومن الواجب على أن أخبرك بأننى أنا أيضا لست من اللصوص المجرمين ، ولكن لى رجاء أرجو أن تسمح لى بأن نواصل حديثنا فى مكان يفضل هذا المكان . فأجبته بالقبول ، وخرجنا من الصالة وقد تأبط الشاب ذراعى كأن صداقتنا وطيدة منذ زمن وبدون كلفة وسرنا معا فى طريق مؤدية إلى سوق عمومية تزدحم فيه عربات الخضار والمشروبات المنعشة وتكثر فيه بائعات اللبن وهنا أشار الشاب إلى امرأة عجوز ممن جلسن وراء عربة لبيع اللبن وفى يدها وعاء فارغ انهمكت فى تنظيفه بعد أن أفرغته لأحد المشترين

فسألته — هل عزمت على سرقة هذه العجوز المسكينة ؟

فابتسم ولم يجب — ولكنه تركنى واتجه نحوها وألقى فى وعاء اللبن الفارغ المحفظة التى سرقها عند شباك بيع تذاكر السينما ، وعاد إلى متأبطا ذراعى وتابعنا سيرنا من جديد . وابتدرنى قائلا — أظنك أدركت الآن ما هى رسالتى التى أؤديها ؟ وحسبى أنك فهمت ما هو العمل الذى أسعى من أجله ؟ — إننى من محبى حفظ التوازن بين حظوظ الناس وثرواتهم — فكل ما أبغى أنى أساعد المساكين الفقراء، فها أنا أسرق من الأغنياء وأعطى الفقراء ، آخذ من ذلك المترف الغنى محفظة نقوده وألقيها فى وعاء لبن هذه المرأة العجوز المسكينة المحرومة من نعم الدنيا ، فها هى الحكومات تتقاضى الضرائب والرسوم من الأثرياء وأصحاب العقارات والدخل السنوى لتنفقه على المعدمين الفقراء ، فأنا أساعد

الحكومة بقدر استطاعتي، وثق أنى أفعل هذا بالرغم منى مدفوعا بدافع غريزى لا أستطيع مقاومته، وقد دأبت على فعله منذ نعومة أظفارى ... ولكن هيا بنا نذهب لبيتى حيث أطلعك على السر كله — هل تحب ؟ فأجبته بكل سرور — فقال إنك سترى على باب بيتى اسما محفورا على لوحة نحاسية (بيت شريف) وقد يحملك هذا الاسم على التفكير ، فلا داعى إذن للتفكير فهو اسم والدى عن جدى — إن أجدادى كلهم كانوا يحترفون العمل الذى أحترفه اليوم . سنجد باب الدار مقفلا ، وقد تكون مريم خرجت لزيارة إحدى صديقاتها . وفعلا وجدنا الباب مقفلا ولكنه قال لى سندخل من باب المطبخ — تعال معى — فدخلنا ودعانا الشاب للجلوس فجلست ؛ وفاجأنى قائلا :

— هل تعرف اسمي ؟ اسمى شريف قد ورثته عن أبى الذى ورثه عن جدى . فقلت إسمك شريف ؟ فهذه مصادفة جمعت بين اسمك وعملك — فعملك اللصوصية والسرقة وإسمك شريف ، فأنت إذن لص شريف ؟ واسم المرأة أمك أو زوجتك مريم كل هذا . . . فقاطعنى قائلا — اعلم أننى سليل بيت عريق لم تقدر البشرية حسناته نحوها ، واعلم أنك أصبت بأنى (لص شريف) وستخلد الأيام اسمى كما أخلدت ذكرى والدى وجدى العظيم . سترى صورته هنا فى القاعة المجاورة وسترى مدى الشبه بينى وبينه ، وإذا كنت أميل إلى الأخذ من الأغنياء لأعطى الفقراء — وهو ما كان يفعله جدى ووالدى — فإن إخوتى جميعا يميلون لمثل هذا العمل أيضا — إننا لصوص شرفاء أبا عن جد — ونحن ما زلنا نواصل تأدية رسالة الجد الأكبر ؛ فنقوم المعوج ، ونعدل ميزان المساواة فى الثروة بين الناس. ولكن انتظرنى قليلا فسآتيك بصورته .؟

خرج الشاب وتركنى فى القاعة — وما هى إلا بضع دقائق حتى سمعت حركة خفيفة عند الباب وإذا به يفتح وإذا بسيدة لا أعرفها تدخل القاعة . فدهشت المرأة عندما رأتنى وداخلها بعض الريب والخوف — فهدأت من روعها قائلا — لا تخشى من شئ يا سيدتى مريم فأنا صديق أسرتك ... جئت مع شريف إلى هنا منذ زمن قصير ؟ فتمتمت السيدة بصوت خافت — شريف — أحد أفراد أسرتنا ؟ فقلت — نعم شريف — زوجك أو ابنك لا أدرى ؟

-- زوجى — ابنى؟

— فقلت — ها هو فى الغرفة المجاورة ذهب ليأتيني بصورة جده شريف

— جده شريف !

فقالت — يا سيدى أنا لا أفهم شيئا مما تقول؛ فأنا غريبة عن هذا البيت ولست من سكانه . وزوجى ليس اسمه شريف ولا أنا اسمى مريم ! أظنك مخطئ — قالت هذا وتراجعت للباب مذعورة فاستوقفتها — وقلت لها — بيت من هذا إذن يا سيدتى ؟ قالت : هذا البيت للايجار — جئت لأستأجره ! ولكن من تكون أنت إذا لم تكن صاحب البيت ولا تعرف صاحبه ؟

فخطر لى خاطر وقلت أنا يا سيدتى مستأجر مثلك جئت لأستأجر هذا البيت

قالت — آه فهمت الآن ؟

قلت — وأنا أيضا فهمت ياسيدتى ! أستودعك الله . قلت هذا وخرجت مسرعا — إذن كل ما قاله الشاب كان سلسلة من الأكاذيب . البيت والأب والجد والأسرة والحرفة الشريفة ، والأخذ من هذا وإعطاء ذاك. . . إنه لص ولكنه غير شريف. .

ووضعت يدى فى جيبى فإذا بمحفظة نقودى قد اختفت . لقد سرقنى اللص الشريف كما سرق غيرى من قبل . وأسرعت راكضا نحو مركز الشرطة، وإذا بى ألمحه عن بعد. لمحت الشاب وهو يركب سيارة ومعه امرأة لم تكن غير بائعة اللبن العجوز التى ألقى المحفظة فى وعائها وهى تنظفه . وابتعدت السيارة ووقفت حائرا — أتكون المرأة شريكته فى السرقة ؟

لقد فهمت الآن كل شئ ورحت ضحية هذا اللص الشريف الذى عرف كيف يضحك منى ويضللنى . هل أذهب إلى مركز الشرطة وأقص قصتى وأطلب البحث عن الجانى ؟ ولكن ما الفائدة ؟ سيضحكون مما حدث لى — فخير لى أن أسكت وأن أواصل الدرس والبحث لأننى لا أزال مبتدئا فى إدراك حيل اللصوص والنشالين الأذكياء. وعدت إلى بيتى مشيا على القدمين وأنا أفكر فى خطة لإيقاع هذا اللص الشريف !

مصطفى أبو غربية

مطبعة الرسالة